حكايات هانس كرستيان اندرسن



الجزء الثاني

حِكايات

هَانس كرستيان اندَرسن

الجزء الثاني

ترجمة

كاظم سعد الدين

حكايات هانس كرستيان اندرسن
ترجمة كاظم سعد الدين
الطبعة العربية الاولى ١٩٩١

النـاشر وزارة الثقـافة والاعلام دار ثقافة الاطفال
العــراق ـ بغـداد ـ مكتب بريد ٨ شباط ص.ب ٨٠٤١

سلسلة مكتبنا

تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال

المدير العام : فاروق سلوم
سكرتير التحرير: فاروق يوسف

حكايات

هانس كرستيان اندرسن

بائعة علب الكبريت الصغيرة



كان الـوقت متأخـراً والبـرد قارسـاً والثلج منهمـراً في ليلة رأس السنـة الجـديـدة، وفتـاة صغيـرة فقيرة تجوب الشوارع الباردة المظلمة، وهي حاسرة وحافية. كانت تحتذي نعلين عندما غادرت البيت، ولكنهما لم ينفعا كثيراً، فقد كانا واسعين جداً، وقد بَليا من قدمي امها، فسقطا من قدمي الصغيـرة المسكينـة عندما عبرت الشارع راكضة لتتفادى عربتين مسـرعتين. ولم تجـد احـد النعلين امـا النعـل الآخر فقد التقطه صبي وهرب به قائلاً انه سيفيد منه عندما يكون له اطفال.

فاضطـرت الفتـاة الصغيـرة الفقيـرة ان تمشي حافيـة فاخـمـرت قدماها وازرقتـا من البـرد. وقـد حملت مقـداراً من عيدان الكبريت في مئزرها العتيق وعلبـة في يدهـا. ولم يشتـر احـد منهـا شيئـاً طوال النهـار، ولم يمنحهـا احـد فلسـاً. وتضورت الصغيرة المسكينة من الجوع واهلكها البرد، فغدت صورة للبؤس.

وتسـاقطت ندف الثلج على شعـرهـا الاصفـر الطـويـل الذي انسدلت خصـلاتـه الجميلة حول وجهها، بيد انها لم تأبه بذلك. وكانت الانوار تضيء في كل نافذة، وفاحت في الشارع رائحة شواءاوز، لانها كانت ليلة رأس السنـة الجـديـدة. ولم يكن بوسعها ان تنسى ذلك! ووجدت زاويـة من بيت ناتيء قليـلاً عن البيت المجـاور له، وقبعت هنـاك وقـد وضعت قدميهـا تحتهـا، غيـر انها احست بالبرد اشد من ذي قبل. ولم تجرؤ ان تعود الى البيت لانها لم تبع اي شيء من علب الكبريت ولم تكسب فلساً واحداً، وسيضربها ابوها. وفضلا عن ذلك فان البيت بارد مثل هذا المكان، اذ ليس له الاسقف تصفر الريح خلاله بالرغم من ان الصدوع الكبيرة حشيت بالخرق والقش.

وكـادت يداهـا الصغيـرتـان تتيبسـان من البـرد. ولعل عود ثقاب صغيرا واحـداً ينفعهـا! لو انهـا واتتهـا الجـرأة فسحبت عوداً واحـداً من العلبة واشعلته، لتدفيء يديها.

سحبت عوداً واحـداً واشعلته، فتفرقع وتوهج واحترق بلهب متألق كأنه شمعـة، عنـدمـا وضعت يديهـا حوله. وبدا لها الضوء غريباً جداً! فقد تخيلت الصغيـرة نفسهـا جالسة امام مدفأة كبيرة من النحاس لها ارجل ويـدان من الصِفـر الصقيـل. وفيهـا نار رائعـة تتأجج تبعث الدفـء في

اوصـالهـا. ولكن ماذا جرى؟ فمـا ان مدت قدميهـا لتدفئهما حتى خبا اللهب واختفت المدفأة.. وبقيت جالسة وفي يدها طرف عود ثقاب محترق.

واشعلت عوداً آخـر، فاحتـرق وتألق. وعنـدمـا سقط النور على الجدار صار شفـافـاً، فاستطاعت ان ترى داخل الحجرة، فالفت مائدة غطيت بقمـاش ابيض كالثلج وعليهـا صحـون خزفيـة بديعة، واوزة «محشية» بالتفـاح والخـوخ يتعالى منها البخار. ولكن اروع من ذلك كله، وثبت الاوزة من الطبق والسكين نابتة في ظهرها وراحت تتهادى على الارض واقبلت على الطفلة الفقيرة، ثم ـ انطفأ عود الثقاب ولم يعد يرى سوى الجدار السميك.

ثم اشعلت عوداً آخر، فالفت نفسها هذه المرة جالسة تحت شجرة عيد الميلاد جميلة اكبر واحسن زينة من شجرة عيد ميلاد التي رأتها في بيت التـاجـر هذا اليـوم عنـدمـا اختلست النظر من خلال الابـواب الـزجـاجية. تألقت آلاف الشموع تحت الاغصان. وحدقت اليها كثير من التمـاثيـل الملونة. التي رأتها مثلها في معارض الحوانيت. فمدت البنت الصغيرة يديها نحو تلك الشجرة ـ ثم انطفأ عود الثقاب وارتفعت شمـوع عيـد الميـلاد جميعـاً اعلى فاعلى حتى لم ترغيـر النجـوم المتلألئة. وهوى احدها فسرى في اثره شريط مشرق من الضوء عبر السماء.

ففكرت الصبية: «ان احد الناس يحتضر» فقد اعتادت جدتها العجوز، وهي الوحيدة التي ترأف بها، ان تقول: عندما يسقط نجم تصعد روح الى باريها.

واشعلت عوداً آخر قرب الجدار نظرت لها جدتها هذه المرة في دائرة اللهب. ورأتها بوضوح ودقة وهي تبدو رقيقة وسعيدة فصاحت الصغيرة: جدتي! خذيني معك. فاني اعلم انك ستختفين عند انطفاء عود الثقاب. ستختفين كما اختفى الموقد والاوزة اللذيذة وشجرة الميلاد الجميلة!.

واسرعت باشعال حزمة من عيدان الكبريت لانها اشتاقت الى الاحتفاظ بجدتها معها. وتألقت العيدان كضوء النهار. ولم تبدأ الجدة بمثل هذا الجمال وهذا الطول من قبل فرفعت الطفلة بين ذراعيها وحلقت الاثنتان في هالة من النور والحبور، بعيداً في الاعالي، حيث لابرد ولاجوع ولا الم، لانهما اصبحتا في رحاب الرحمن.

وعندما بزغ نور الصباح كانت الطفلة الصغيرة المسكينة قابعة في مكانها من تلك الزاوية بين البيتين متوردة الخدين وعلى وجهها بسمة - متجمدة حتى الموت في آخر ليلة من السنة الماضية. واشرق نهار السنة الجديدة على الجثمان الصغير واطراف عيدان الثقاب المحترقة في يدها.

وقال الناس: لابد انها حاولت ان تدفيء نفسها. ولم يعلم احد شيئاً عن الرؤى الجميلة التي رأتها ولا الهالة التي دخلتها بصحبة جدتها في ليلة رأس السنة المجيدة.

راعي الخنازير



كان في قديم الـزمـان امير فقير في امارة صغيرة ولكنها كبيرة فتسمح له بالزواج الذي عقد العزم عليه. وكان جريئاً حقاً فسأل ابنة الامبراطور: «اتقبلينني؟» لقد غامر بذلك السؤال. فقد طبقت شهرته الافاق. وكانت مئات من الاميرات اللائي يقلن: «نعم، وشكراً جزيلاً». ولكن لنر هل قبلت به؟ ولنستمع.

لقد نبتت شجرة ورد على قبر والد الامير وكانت نبتة وردة جميلة غير انها لاتزهر الا كل خمس سنوات زهرة واحدة فقط. فيا لها من وردة! فاذا ما شمها المرء نسي كل همومه واحزانه.

وكان لديه بلبل يشدو باغاريد كأن الحان الدنيا الرخيمة قد سكنت في حنجرته. وقد قرر ان يُهدي هذا البلبل وهذه الوردة الى الاميرة فوضعا في صندوقين عظيمين من الفضة وارسلا اليها.

ووضعا امام الامبراطور في الايوان العظيم حيث كانت الاميرة مع وصيفاتها. وعندما رأت الصندوقين وفيهما الهديتين، صفقت فرحة.

ولكنها قالت: ليتها كانت قطة صغيرة «فقد كانت ورذة جميلة» فقالت صواحبها:ماابدع صنعها!

وقال الامبراطور: انها اكثر من جميلة. فهي دقيقة الصنع.

ولكن الاميرة لمستها واوشكت ان تصيح، ولكنها قالت: تباً لها يا ابي، انها غير مصنوعة. هي وردة حقيقية.

فصاحت جميع النساء: تعساً! انها حقيقية.

فقال الامبراطور: حسناً، دعونا نرى ما في العلبة الاخرى قبل ان نغضب

وخرج العندليب. وشرع يصدح بالغناء العذب. فلم يجدوا فيه شائبة وقالت صواحبها: رائع! ساحر!

فقال احد رجال البلاط: يذكرني هذا الطائر بصندوق امبراطورتنا الراحلة الموسيقي. اجل، هي الانغام نفسها والاداء الجميل عينه فقال الامبراطور وهو يبكي كالطفل.: «اجل، هي كذلك»

وقالت الاميرة: لا•اكاد اظن انه حقيقي.

فقال الذين جلبوه: بل هو حقيقي.

فقالت الاميرة: «فاطلقوا الطائر اذن». ولم تطق ان يسمح بقدوم الامير. غير انه لم ييأس، فلطخ وجهه بلون بني واسود وانزل قبعته على عينيه، وطرق الباب.

وقال: صباح الخير ايها الامبراطور. ايمكن ان اقبل في خدمة القصر؟

فاجابه الامبراطور: كثيرون يرغبون في ذلك ولكن دعني ار. اجل اني بحاجة الى من يرعى الخنازير. فلدينا كثير منها.

فصار الامير راعياً امبراطورياً للخنازير واعطيت له حجرة حقيرة قرب زريبة الخنازير ليقيم فيها. وجلس يعمل طوال النهار وعند المساء صنع قِدراً صغيراً جميلاً. ووضع حوله اجراساً واذا ماغلى القدر رنت الاجراس رنيناً بهيجاً وعزفت اللحن القديم: اوغسطين ايها المحبوب فينا، كل شيء راح ثم ضاع منا!.

ولكن اعظم مافيه من سحر ان المرء اذا ما وضع اصبعه في البخار فانه يستطيع فوراً ان يشم جميع الاطعمة التي تطبخ في كل موقد في المدينة. وهذا شيء يختلف تمام الاختلاف عن الوردة.

واقبلت الاميرة تمشي مع صواحبها، فتوقفت لما سمعت اللحن وبدا على محياها السرور، لانها تستطيع ان تعزف ايضاً: اوغسطين ايها المحبوب فينا وهو اللحن الوحيد الذي تستطيع ان تعزفه باصبع واحدة.

وقالت: هذا لحني المفضل. لابد ان يكون راعي الخنازير مثقفاً. اسألنه من ثمن آلته.

فذهبت احدى الوصيفات الى حجرته ولكنها لبست قبقاباً من الخشب

قبل ان تدخل. وسألته: كم تطلب ثمناً للقدر؟.

فقال الراعي: اريد عشر قبلات من الاميرة.

فقالت السيدة: وقانا الله!

فاجابها الراعي: لا اقبل اقل من هذا.

فسألتها الاميرة: وماذا يطلب؟

فقالت وصيفتها: لااستطيع حقاً ان اقول لك. انه طلب فظيع.

فقالت الاميرة: إذن اهمسي به» فهمست بالطلب.

فقالت الاميرة: «انه خسيس». ثم مضت في الحال. ولكنها لم تبعد الاقليلاً حتى سمعت رنين الاجراس الجميل: اغسطين ايها المحبوب. فامرت وصيفتها: اذهبي وسليه ان كان يقبل بعشر قبلات من الوصيفات. اجاب الراعي: لا، شكراً، بل عشر قبلات من الاميرة او احتفظ بقدري. فقالت الاميرة: امر مزعج اذن عليكن ان تقفن حولي لئلا يرى احد. فأحطن بها ونشرن تنوراتهن عندما قبلها راعي الخنازير عشر قبلات وصار القدر لها.

وكان ذلك مفرحاً لهن. وقد بقي القدر يغلي ليل نهار. وعرفن مايطبخ في كل موقد من مواقد المدينة، من الحاجب حتى الاسكافي، ورقصت الوصيفات وصفقن.

وقلن: نحن نعرف من عنده حساء ومن عنده فطائر محلاة للغداء ومن عنده شرائح لحم مشوي. انه شيء مسلٍ.

فعقبت الامينة على الثياب: غاية التسلية.

فقالت الاميرة: ولكن اكتمن السر لانني ابنة الامبراطور.

فقلن جميعاً: وَقانا الله!

امـا راعي الخنـازيـر ـ اي الاميـر الـذي لايعـرف احـد انه لم يكن في الحقيقة راعي خنازير ـ فانه لم يضيع نهاره بالكسل، بل صنع جلجلاً، اذا ماهز عزف جميع الالحان الراقصة التي سمعت منذ بدء الخليقة.

فقـالت الاميـرة وهي تمـر به: هذا رائـع! اني لم اسمع اجمل من هذا العزف اذهبي وسلية عن ثمن الالة، ولكننا لانقبل بمزيد من القبلات.

فقالت الوصيفة: انه يطلب مئة قبلة من الاميرة.

فقـالت الاميـرة: «اظنـه قد جن!» ثم مضت في سبيلهـا، غيـر انها لم تذهب بعيداً، حتى توقفت وقالت: يجب ان نشجع الفن. لانني ابنة امبـراطـور. اخبـريه انه سينال مني عشر قبلات كما في الامس، وينال الباقيات من سيدات البلاط.

فقالت السيدات: ولكننا لانحب ذلك ابداً.

فقـالت الاميـرة: هراء! اذا كنت استطيـع تقبيله فانكن تستطعن ذلـك ايضاً. وتذكرن انني ادفع لكن اجوركن ومأواكن.

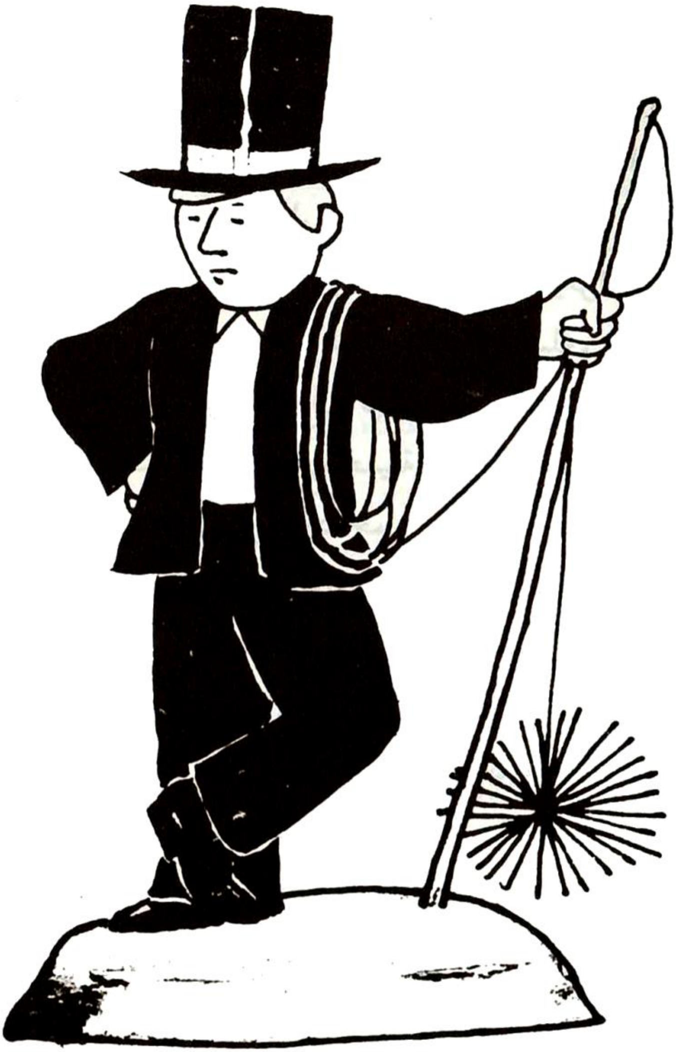
فاضطررن الى العودة اليه. فقال: مئة قبلة من الاميرة، والا احتفظ كل واحد منا بما لديه.

فقـــالت: «قفن امـامي» واحـاطت بهـا السيـدات وهـو يقبلهـا وخـرج الامبراطور الى الشرفة وفرك عينيه ووضع نظارتيه وقال: «ما هذا الحشد عنـد زريبـة الخنـازيـر؟! إني ارى وصيفـات البلاط. اي لعبة يلعبن؟ يجب ان اذهب وارى!» ثم رفع موضع العقبين اللذين طواهما تحت قدميه.

واسـرع حتى بلغ الفنـاء وصار يمشي بهدوء فالغى السيدات منشغلات باحصـاء القبـلات احقـاقـاً للعـدل، لئـلا يزيـد العدد اوينقص، فلم

يسمعن الامبراطور، الذي وقف على اطراف اصابعه.
ولما رأى مايجري قال: «ماهذا؟». وضربهن بحذائه على رؤوسهن عندما كان راعي الخنازير يقبل الاميرة القبلة السادسة والثمانين.
وصاح الامبراطور غاضباً: هيا اخرجا!
وطرد الاميرة والامير من مملكته فوقفت تبكي وقد نال الراعي تلك الاهانة، وانهمر المطر فقالت: واخيبتي! ما اتعسني! ليتني قبلت الامير الوسيم! يالبؤسي!
واختبأ راعي الخنازير خلف شجرة ومسح اللطخ السود والبنية عن وجهه، وخلع ملابسه البالية. وخرج في ثياب امير وسيم جداً، فلم يكن للاميرة مفر من تحيته.
فقال الامير: ها اني اتيت لازدريك، فلم تقبلي اميراً مبجلاً، ولم نقدري الوردة والبلبل. ولكنك رضيت ان يقبلّك راعي خنازير من اجل علبة موسيقية. فنامي على السرير الذي اعددت لنفسك. ثم عاد الى مملكته الصغيرة واقفل الباب. فما كان عليها الا ان تقف خارج القصر وتنشد في حسرة:
اوغسطين، ايها المحبوب فينا
كل شيء راح ثم ضاع منا!

الراعية والكناس



ارأيت يوماً خزانة خشبية عتيقة اسودت
باوراق نبات واشكال غريبة منقوشة؟ كانت مثل هذه الخزانة تقف شاخصة في ردهة الاستقبال وهي مما تركته جدة الام ارثاً للعائلة. وقد غطيت من قمتها الى قاعدتها بالورد والزنبق المنقوش. وقد نُحتت عليها اغرب الحلي التي تطل منها رؤوس وعول صغيرة بقرونها المتشعبة.

ونقشت في وسط باب الخزانة صورة رجل مضحك، يكشر في وجهك اذ لايمكن لاحد ان يطلق عليها صفة الابتسام. له ساقا عنز وقرنان صغيران على رأسه ولحية طويلة. واذا دخل الاطفال الردهة اطلقوا عليه: التيس رئيس العرفاء آمر لواء الميدان». وهو اسم صعب بلا ريب ولم يحصل على مثل هذه الرتبة الا القلة القليلة، ولكن العجيب كيف نُحتت هناك. وعلى اية حال، فهو موجود يرنو دائماً الى المنضدة التي تحت المراة، تقف راعية صغيرة جميلة للغاية مصنوعة من الخزف، حذاؤها مذهب وثوبها مزين بورد احمر.

وتعمتر قبعة وتحمل عصا. وكان كلاهما مذهباً ويبدو مشرقاً والى جانبها يقف كناس مداخن صغير، اسود كالفحم، من الخزف ايضا. على انه كان نظيفاً، مهندماً مثل غيره من التماثيل، انه يمثل كناس مداخن اسود، وكان يمكن للخزاف ان يجعل منه اميراً، لو شاء ان يفعل ذلك. وقد وقف يمسك سلمه ببراعة، وكان وجهه مليحاً متورداً مثل وجه فتاة. وهذه لاريب، غلطة فقد كان يجب ان يكون ملطخاً بالسواد. وقد وضع الكناس والراعية جنباً الى جنب، واصبحا مترتبطين بسبب هذا الوضع، وكانا متناسيين، فقد جُبلا من خزف متشابه وكان كلاهما هشاً رقيقاً.

ويقف قريباً اليهما تمثال آخر من الخزف ايضا ولكن حجمه ثلاثة امثال حجمهما. وهو شيخ صيني يستطيع ان يومىء برأسه، وقد اعتاد ان يزعم انه جد الراعية، مع انه لايسعه اثبات ذلك. ولكنه بالرغم من ذلك يدعي الولاية عليها. لذلك عندما تقدم «التيس رئيس العرفاء آمر لواء الميدان» طالباً الراعية الفتية زوجة له، اومأ برأسه دليلاً على

موافقته .
وقــال لهــا الشيـخ الصيني : سيكـون لك زوج . اعتقـد حقـا انـه من الخشب الاحمر. وسيجعل منك عقيلة تيس رئيس عرفاء آمر لواء ميدان يمتلك خزانـة ملأى بادوات المـائدة الفضية التي يحتفظ بها في ادراج سرية مقفلة .
فاحتجت الـراعيـة الصغيـرة قائلة : لن ادخـل الخـزانة المظلمة ، فقد سمعت انه يمتلك فيها احدى عشرة زوجة من الخزف .
فقال الشيخ الصيني : اذن ستكونين انت الثانية عشرة ، وحين تسمعين هذه الليلة صلصلة في الخزانة العتيقة فانك ستتزوجين حقاً كما اعرف نفسي صينياً حقاً .
ثم مال رأسه واغفى .
وبكت الـراعيـة الصغيـرة ورمقت حبيبهـا كنـاس المـداخن الخزفي .
وقالت : اتضرع اليك ان تخرج معي الى الدنيا الواسعة ، فاننا لايسعنا البقاء هنا .
فقال الكناس الصغير: سافعل ماتشائين . ولنخرج في الحال . واعتقد اني قادر ان اعيلك بمهنتي .
فقـالت : ليتنـا نستطيـع النزول بأمان من المنضدة ! ولن اشعر بالسعادة حتى تخرج حقاً الى الدنيا .
ثم ادخل السكينة الى نفسها وبيّن لها كيف تضع قدمها الصغيرة على حافـة المنضـدة المنحـوتة وعلى نقوشها النباتية المذهبة . وجاء بسلّمه الصغيـر ليسـاعـدهـا ، وهكـذا وصـلا ارض الحجـرة ، ولمـا نظرا الى الخـزانـة . العتيقـة وجـدا كل شيء في حالـة من الاضطراب ، فمدت

الايـائـل المنحوتة رؤوسها ورفعت قرونها ولوت اعناقها . وقفز اللواء في الهواء وراح ينادي الشيخ الصيني : انهما يهربان! هما يهربان!
وارتعب الاثنـان لذلـك، فوثبـا في دُرج مقعـد لدى النـافذة . فالفيا فيه ثلاث رزم او اربعـاً من ورق اللعب غيـر كاملة ، ومسـرحاً للدمى مشيداً بشكـل رائـع . وكـانت تمثل فيه مسرحية هزلية وكانت الملكات جميعاً جالســات في الصف الاول وهن يروّحن انفسهن بالــزنـــابق . ووقف وراءهن جميع الخدم ولكل منهم رأسان، واحد في الاعلى والآخر في الاسفـل كمـا في اوراق اللعب عموماً . وكانت المسرحية عن عاشقين لم يسمح لهما بالزواج، فبكت الراعية، لانها تشبه قصتها .
وقالت : لااحتمل هذا ولابد لي من مغادرة الدُرج .
وعندما بلغا الارض والقيا نظريهما الى المنضدة، وجدا الشيخ الصيني مستيقظاً وجسمه كله يرتعد، ثم هبط الى الارض فجأة .
وصـاحت الـراعيـة الصغيرة مرتاعة وهي تجثو على ركبة واحدة : جاءنا الشيـخ الصيني ! فقـال الكنـاس : فكـرت في شيء . لم لاندخل جرة الافاويه الكبيرة التي في الزاوية، حيث نستطيع ان نستلقي على اوراق الورد والخزامى ونذر الملح في عينيه اذا ما اقترب منا .
فقـــالت : كلا، هذا لايفي بالغـــرض، لانني اعلم ان الصيني وجـــرة الافـاويـه كانـا ذات يوم عاشقين، ويبقى شيء من الوداد بين من كانت تؤلف المودة بينهما، كلا، لم يبق اما منا سوى ان نخرج الى العالم الفسيح .
فسألهـا كنـاس المداخن : وهل لديك الشجاعة الكافية لتخرجي معي الى الدنيا الواسعة؛ وهل فكرت في مدى اتساعها، واننا قد لانعود الى

هنا مرة اخرى؟ .
فاجابت: نعم، فكرت.
وعندما رأى كناس المداخن مبلغ اصرارها، قال: ان طريقي سيكون من داخل الموقد وصعوداً في المدخنة. فهل لديك الشجاعة ان تدخلي معي الموقد وتصعدي المدخنة الحديدية؟
واذا مابلغنا المدخنة فسوف اتدبر امري جيداً وسوف نصعد عالياً، فلا ينال احد منا شيئاً، وسنخرج من فتحة في الاعلى الى الدنيا الواسعة.
فافتادها الى باب الموقد. وقالت: «ما اشد الحلكة» ولكنها ظلت تمشي معه في الموقد وفي الانبوب الحالك الظلام.
وقال: لقد صرنا الآن في المدخنة. انظري تري نجما رائعاً ينير فوقنا.
ولقد كان حقاً نجماً يرسل النور فوقهما كأنه يرشدهما سواء السبيل.
فتسلقا بجهد جهيد وواصلا الزحف فقد كان المكان شاهقاً بشكل رهيب، غير ان كناس المداخن ساعدها في الصعود واسندها، حتى تقدما اعلى فاعلى، وكان يبين لها افضل المواضع التي تضع عليها قدميها الخزفيتين، الى ان بلغا قمة المدخنة، فجلسا بعد عناء شديد لابد منه. وكانت السماء بكل نجومها فوق رأسيهما، وتحتهما سطوح المدينة. واستطاعا ان يمدا بصريهما مسافة طويلة في الدنيا الواسعة، فاسندت الراعية رأسها الى كتف كناس المداخن، وبكت حتى مسحت الطلاء عن زنارها الذهبي. لقد كانت الدنيا تختلف عما توقعت.
وقالت: هذا كثير جداً فلا طاقة لي بتحمله، لاني ارى الدنيا شديدة الاتساع. الا ليتني عدت سالمة على المنضدة تحت المرآة. ولمن

احس بالسعادة حتى ارجع سالمة. لقد تبعتك الى الدنيا الواسعة. فاعدني اذا كنت تحبني.

وحاول كناس المداخن اقناعها بالحجة، وتحدث عن الشيخ الصيني. والتيس رئيس العرفاء آمر لواء الميدان، ولكنها بكت بكاء مراً وقبّلت كناس المداخن الصغير، حتى اضطر ان يلبي كل ما طلبت بالرغم من تفاهة ذلك. فعادا بكثير من المشقة ينزلان المدخنة. ويزحفان خلال الانبوب والموقد ولم تكن اماكن تسر النفس اطلاقاً ووقفا في مستودع النار المظلم واصغيا وراء الباب ليسمعا مايدور في الحجرة. فالفيا كل شيء هادئاً، فاختلسا النظر. ولكن وااسفاه على الشيخ الصيني الذي كان على الارض طريحاً. فقد سقط من المنضدة وهو يحاول ان يركض وراءهما، فتكسر ثلاث قطع. وقد انفصل ظهره تماماً، وتدحرج رأسه الى ركن من اركان الردهة. وكان اللواء مايزال واقفاً في مكانه الاول، وبدا مستغرقاً في افكاره.

فصعقت الراعية الصغيرة وصاحت: ياللفظاعة! لقد تكسر جدي وهي غلطتنا. لن اعيش بعد هذا.

وراحت تعصر يديها الصغيرتين.

فقال لها الكناس: يمكن ان تجبر كسوره وتثبت. فلا تتسرعي فاذا ماصمغوا ظهره، وشدوه بمسمار فانه سيعود جديداً كما كان، وسيكون قادراً ان يحدثنا باشياء كثيرة لاتوافقنا كعهدنا به.

فقالت: اتظن ذلك؟

ثم صعدا المنضدة ووقفا في مكانيهما القديمين.

وقال كناس المداخن: اما كان اجدى لنا ان نبقى هنا بدلا مما قاسينا

من عناء ولم نجن خيراً؟

فقـالت الـراعيـة : ليتهم يجبـرون جدي ! تُرى أيكلف هذا كثيـراً؟ وتحققت امنيتهـا . فقـد جبـروا ظهر الشيخ الصيني وثبتوا رقبته بمسمار قوي . وعاد جديداً ، غير انه لم يعد بوسعه ان يوميء برأسه .

وقال له التيس ، رئيس العرفاء ، آمر لواء الميدان : غدوت ياهذا متكبراً منذ تكسرت ، فلا مبرر لهذا الاعتداد بالنفس أيمكنني الحصول عليها ام لا؟ .

ونظـر كناس المداخن والراعية الى الشيخ الصيني مستعطفين ، لانهما كان يخشيان ان يوميء برأسه ، غير انه لم يستطع . وكان ينهكه ان يخبر الغرباء دائماً ان رقبته مجبّرة .

فبقي الشـابـان الخـزفيـان معاً ، وكانا مسرورين بتجبير رقبة الجد وبقيا على حبهما حتى تكسرا! .

هانس الاخرق



كان في سالف الزمان قصر قديم في الريف يعيش فيه مالك الارض وولـداه الاثنـان. وكان الولدان ذكيين غاية الذكاء . وقد عقدا العزم ان يخطبـا بنت الملك. فقـد أعلن انهـا ستتـزوج من يستطيع ان يتحدث عن نفسه افضل من غيره.

فاخـذ الاثنـان مهلة امـدهـا اسبوع للتأهب؛ وهي مدة كافية لاتمام مالـديهمـا من مآثـر بارعـة ونـافعـة. فقد كان احدهما يحفظ القاموس الـلاتيني عن ظهـر قلب وكذلك اخبار الجرائد لمدة ثلاث سنوات. اما

الثاني فقد اطلع على جميع انظمة النقابات وما على المشرع ان يعلمه فاعتبر نفسه اهلا للحديث عن امور رسمية . وهويعرف ايضا كيف يطرز عدة الفرس لانه كان بارعا في الاعمال اليدوية .

فقال كل منهما : سأفوز بابنة الملك .

واعطى الاب لكل منهما جواداً مطهماً . فنال الذي يعرف القاموس واخبار الجرائد جواداً ادهم بلون الفحم ، اما الثاني العالم بامور النقابات والتطريز فقد حصل على حصان ابيض كالحليب . ومسحا زوايا فمي الحصانين بالزيت ليكونا اكثر مرونة . وتجمع الخدم جميعا في فناء الدار يشاهدونهما وهما يرحلان على حصانيهما ، وفي تلك الاثناء قدم الاخ الثالث، فقد كانوا في الحقيقة ثلاثة . ولكن لم يأخذ أحد هانس الاخرق بنظر الاعتبار، فلم يكن يتمتع باية مهارة كأخويه .

فسألهما : اين تذهبان في هذه الملابس الفاخرة؟

فاجاباه : الى البلاط لتخطب الاميرة . ألم تسمع النبأ الذي نشر على قرع الطبول في البلد كله؟

فقال هانس الاخرق : و قانا الله! وانا ايضا سأذهب .

ولكن الاخوين ضحكا منه ، ومضياً في سبيلهما . وذهب هانس الى ابيه وقال له : ياابي اعطني حصانا . فاني اريد ان اتزوج ايضا . فاذا ما قبلتني ، قبلتني . واذا لم تقبلني قبلت بها ، على اية حال .

فقال الاب : سخف وهراء ! لن اعطيك حصانا . فانك لاتتمتع بشيء فتستطيع ان تتحدث عن نفسك ، كما يستطيع اخواك .

فقال هانس الاخرق : ان لم تعطني حصانا ، سآخذ التيس .
فهو يستطيع ان يحملني .

وركب التيس ولكزه في جانبيه ، واسرع في الطرق العام بسرعة .

وهتف : ها انا آت : ورفع صوته بالغناء الذي راح يتردد في جميع

الارجـاء، في الـوقت الـذي سار الاخـوان صامتين لا يكلم احـدهمـا الآخر، فقد ارادا ان يحفظا كل فكرة طيبة يرغبان في عرضها في مابعد وان يكون كلامهما محسوبا.

ثم هتف هانس الاخرق «ها انا آت. انظر ما وجدت في الطريق!» وعرض عليهما غرابا ميتاً.

فقالا: وماذا ستفعل به ايها الاخرق؟

فاجاب: ساقدمه لابنة الملك.

فضحك الاخوان ومضيا في سبيلهما.

ثم عاد وصاح! ها انا آت! انظر ماذا وجدت! لا يجد المرء مثل هذا كل يوم في الطريق.

والتفت الاخـوان ليـريـا ماذا وجد فقالا له: ايها الاخرق، ليس هذا سوى قبقاب خشبي مكسور قسمه الاعلى. وهل هو للاميرة ايضاً.

فقال هانس: نعم، بلاشك.

فضـحك الاخوان، ومضيا على حصانيهما.

ثم عاد يهتف: هاً نذا آت! هذا شيء رائع!

فسأله الاخوان: وماذا وجدت هذا المرة؟

فاجاب! ألا يسرّ الاميرة هذا؟

فقالا: انه ليس الا رمل اخذته من الجدول!

فاجـاب هانس الاخـرق: نعم، هذا صحيـح. وهو انقى رمل. وناعم جدا، قلما تستطيع مسكه.

وقـد ملأ جيبـوبـه به. ومضى اخواه باسرع مايستطعان ووصلا باب المـدينـة قبلهمـا بسـاعة كاملة. وتسلم كل من الخاطبين بطاقة وصول ترتيبـه. ثم جعلوا في صفـوف، وقف ستـة اشخـاص في كل صف متـراصين بحيث لايستطيـع احـد ان يحـرك ذراعيه. وهذا شيء حسن

والا مزق كل واحـد منهم ثيـاب الـذي وقف قبله . ووقف اهـل المدينة حول القلعـة يستـرقـون النظر الى النوافذ ليروا ابنة الملك وهي تستقبل الخاطبين .

وكلما دخل عليها واحد منهم فقد قدرته على الكلام .

فتقول: لانفع فيه. اخرجوه!

ثم جاء الاخ الذي حفظ القاموس، ولكنه نسي كل شيء اثناء وقوفه في الصفوف. وكانت الارض من خشب، فكسرت تحت قدميه، وكان السقف من مرايا فرأى نفسه واقفا على رأسه. وقد جلس في كل نافذة ثلاثـة كتـاب وقاض يدونون كل مايقال. لكي يرسل الى الصحف فورا ويباع بثمن بخس عند زوايا الشوارع . وكان الجورهيبا فقد اشعلت كل المواقد الى درجة احمر اعلاها .

فقال الخاطب: ماشد الحر!

فقالت الاميرة: لان ابي يشوي ديكة صغارا .

فوقف الخـاطب كالابله ولم يكن يتـوقـع ان يكون الحديث من هذا النوع ولم يكن بوسعه ان يفكر بكلمة واحدة يقولها يبين فيها ما يتمتع به من ذكاء خاص.

فقالت ابنة الملك: لانفع فيه اخرجوه!

ثم جاء الاخ الثاني وقال: الحر رهيب هاهنا .

فقالت ابنة الملك: اننا اليوم نشوي ديكة .

فقال: «ماذا هذا ـ ماذا؟ «فسجل الكتبة ـ ماذا هذا ـ ماذا؟

وقالت الاميرة : لانفعه فيه . اخرجوه .

ثم جاء هانس الاخرق راكبا التيس ودخل البهو. .

وقال: ماهذا الحر اللاهب عندكم هاهنا؟

فاجابت ابنة الملك: لانني اشوي ديكة صغارا .

فقال هانس الاخرق: هذا رائع. واحسب انني يمكن ان اشوي غرابا ايضا.

فقالت ابنة الملك: نعم، بكل تأكيد. ولكن هل لديك شيء تشويه عليه؟ فليس لدي قدر ولامقلاة..،

فاجاب هانس: نعم لدي. هذا قدر.

ثم اخرج القبقاب الخشبي ووضع الغراب عليه.

فقالت ابنة الملك: لديك مايكفي وجبة طعام. ولكن ماذا نفعل اذا تقطر الشواء؟

فاجابها: لدي شيء يفي بالمرام في جيبي.

ثم صب قليلا من الرمل من جيبه.

وقالت الاميرة: هذا يعجبني. لديك جواب لكل شيء. فاستطعت ان تتحدث بنفسك. اقبل بك زوجا. ولكن هل تعلم ان كل كلمة تفوهت بها ستنشر في الجريدة غدا؟ فقد جلس في كل نافذة ثلاثة كتبة وقاض. وكان القاضي اسوأهم لانه لايفهم شيئا.

قالت له ذلك من اجل اخافته. وضحك الكتبة ضحكا مكبوتا فاسقطوا بعضا من الحبر على الارض.

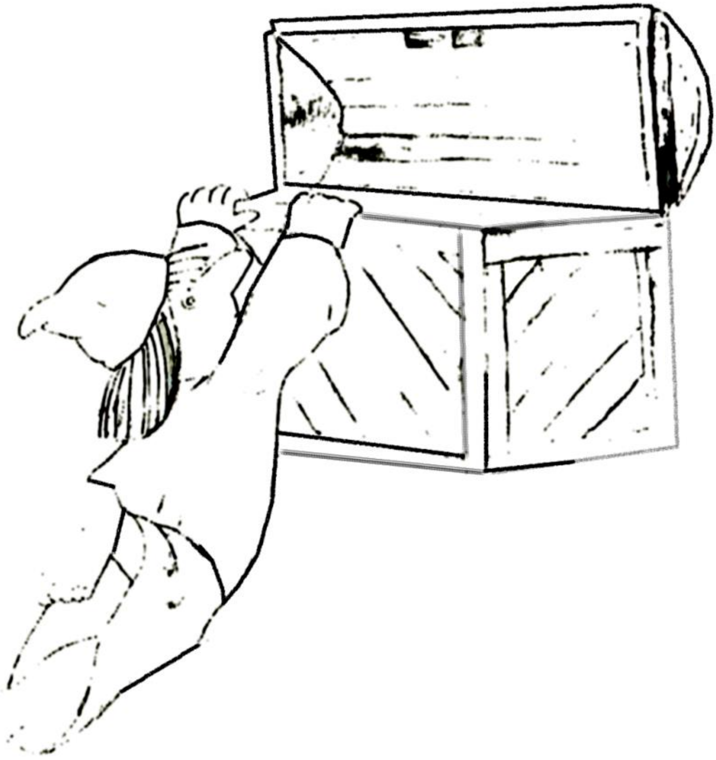
فقال هانس الاخرق: اوه هؤلاء هم الفئة الحاكمة! اذن يجب ان اعطي القاضي افضل شيء لدي.

ثم قلب جيوبه وذر الرمل في وجهه.

فقالت الاميرة: احسنت صنعاً. لم يكن بوسعي ان افعل ذلك، ولكنني تعلمت درسا.

واصبح هانس الاخرق ملكا، ونال زوجة وتاجا وجلس على العرش. وقد استقينا ذلك من جريدة القاضي. ولكن ذلك لايعول عليه.

الصندوق الطائر



في قديم الزمان عاش تاجر ثري في احدى المدن التي وراء البحار. وكان من ثرائه انه يستطيع ان يرصف الشارع الذي يسكنه بالنقود الذهب ولعل ماليديه يزيد على ذلك. وكان التاجر يحسن استغلال نقوده، فلا ينفق فلسا الا اذا كسب معه تسعة. فازدادت ثروته ونمت. ثم مات وخلف امواله الى ابنه.

ولما ورث الابن اموال ابيه، انغمس في حياة اللهو. وصار يحضر حفلات الانس والسمر كل ليلة، ويستعمل النقود الورقية ذيولا

للطـائـرات الورقية، ويلقي القطع الذهبية من نافذته ليراها كيف تطلق رشـاش المـاء عنـدمـا تسقـط في النهر الذي تحته. ومالبثت امواله ان نفـدت ولم يبق لديـه سوى دريهمـات معـدودات وثوبا عتيقا. وانفض اصدقاؤه وقد اداروا له ظهورهم اذ كان يبدو سخيفا ويمشي في الشارع في ثوب النوم.

على ان احـد اصـدقـائـه الاوفياء ارسل له صندوقا ونصحه ان يحزم امتعتـه باسـرع مايمكن. ولما لم يكن لدى ابن التاجر شيئا يحزمه فقد جلس، لاجل النكته، في الصندوق.

وكـان الصنـدوق غريبـا. فانـه يطيـر في الجـو اذا ما اغلق القفـل باحكـام. فلمـا جلس الشـاب في الصنـدوق وضغط على القفل دون علمه وجد نفسه طائرا من خلال المدخنة!

وصـار يرتفـع ويـرتفـع اعلى فاعلى. وراح يصـدر صريرا كأنه على وشك ان ينكسر، ولكن لم يحدث شيء من ذلك. وسرعان ماهبط الصندوق الى الارض في بلاد الاتراك.

واخفى الشاب الصندوق في كهف. ومضى الى المدينة، ولم يجد نفسـه مخـالفـا للزي السـائد فيها، فقد كان جميع الناس يلبسون مثل ثوبه تماما.

ورأى على بعـد ابـراج قصـر. فاوقف أما مع طفلها الرضيع وسألها من يسكن ذلك القصر.

فقالت المرأة: ابنة الملك تسكن ذلك القصر. وقد تكهن الحكماء ان عاشقـا سوف يسبب لهـا الهم والغم، لذا فهي تعيش وحيـدة في القصر ولاترى احدا الا من يحضره ابوها وامها.

فشكر الشاب المرأة. وعاد الى الكهف. وصعد في الصندوق وطار الى القصر. وحط على السقف وتسلل الى حجرة نوم الاميرة من خلال النافذة.

وكانت الاميرة مستلقية على اريكتها. وكانت بارعة الحسن فلم يكن بوسع الشاب ان يقاوم نفسه من تقبيلها. فاستيقظت مجفلة، وطمأنها الشاب انه ملك من الملائكة هبط اليها من السماء وقد أتى لرؤيتها، فلما سمعت ذلك، احست انها نالت حظوة وشرفا بحضوره. وامضيا وقتا طويلا جالسين يتحدثان. واطنب في مدح عينيها وجبينها اللجيني وذقنها الذي ترصعه غمازة رائعة. وسألها ان ترضى به زوجا، فقبلت في الحال.

وقالت: لكنك يجب ان تأتي عند موعد الشاي في الساعة السادسة يوم الجمعة، حيث يحضر ابي وامي الى هنا. وسوف يسرهما ان يكون احد الملائكة زوج ابنتهما. ولكن عليك ان تتأهب لرواية قصة لان والدي يحبان الاستماع الى القصص.

فقال الشاب: حسنا، سوف اعود ومعي قصة. ولكنها ستكون هدية العرس الوحيدة.

ثم شدت حول خصره نطاقا جميلا علق فيه سيف اعقف في غمد مرصع بالنقود الذهبية ـ وستفيد النقود الذهبية في بعض شؤونه ثم صعد في الصندوق الطائر ومضى.

واشترى الشاب لنفسه ملابس جديدة وامضى الاسبوع كله في الكهف يكتب قصة، وقبيل السادسة من يوم الجمعة انتهت القصة فطار الى القصر الملكي، حيث كان الملك والملكة وجميع حاشية البلاط في انتظاره وحيوه تحية حسنة وقدم له الشاي في الحال.

وعندما انتهى الشاي قالت الملكة: احك لنا قصة الآن ويجب ان يتسم بالحكمة والمنفعة.

فعقب الملك بقوله: على ان يكون فيها قليل مما يضحك ايضا فشرع الشاب برواية هذه القصة:

كانت حزمة من عيدان الثقاب تعتبر نفسها من سلالة رفيعة النسب، وانها اعلى مقاما من ادوات المطبخ الاخرى، لانها بضعة من ملكة الغابة، الصنوبرة الباسقة. وماتزال تفخر بنسبها الملكي بالرغم من تدهورها في هذه الدنيا واستقرارها اخيرا فوق رف الموقد في المطبخ بين قدر حديدي ومقدحة.

وروت لها عيدان الثقاب كيف اعتادت ان ترتشف في الصباح قطر الندى الذي يشبه حبات الماس، وكيف كانت الشمس تشرق عليها طوال النهار والطيور تحكي لها قصصا. وقد كانت في الغابة خضرا يانعة. وكانت تفخر بخضرتها الدائمة طوال العام على الاشجار الاخرى المحيطة بها العارية في الشتاء.

ثم اقبل الحطابون ذات يوم ومزقوا شمل العائلة، فقطعوا راسها، اي جذع الشجرة، وجعلوا منه سارية سفينة، واستعملت الاغصان الكبيرة لاغراض شتى، اما الصغيرة فقد غدت عيدان كبريت وآل مصيرها الى المطابخ.

ثم روى القدر قصته. قال انه منذ بدء حياته كان يوضع في النار ثم يفرك ويجلى.

فقاطعته المقدحة وشكت من جد الحديث وطلبت ان يقضوا امسية مرحة. وتحدثوا عن امور كثيرة، وشاركتهم المكنسة والاطباق وقدمت سلة السوق آخر الانباء في المدينة، فقد دارت فيها اكثر من غيرها. ثم رقصت كماشة النار. وطلبوا الى ابريق الشاي ان يغني، ولكنه رفض، لانه لايغني الا اذا كان ساخنا. . واقترح احدهم ان يغني البلبل الذي في القفص خارج الدار، مادام الابريق يرفض الغناء، والاخرون لم يوافقوا بحجة ان البلبل ليس فردا منهم، ويجب الا ينال مثل هذه المكرمة. وتحول الرفض الى شجار وقبل ان يسووا الامر، فتحت

الخادمة الباب فصمت الجميع كالفئران. واشعلت عيدان الكبريت. فقالت العيدان : «يمكن لكل فرد الآن ان يرى مدى توهجنا وتألقنا. ولكن العيدان احترقت في لحظة وانتهى كل شيء وكذلك انتهت حكايتي.

فقالت الملكة: هذه قصة رائعة. ليس ابدع من وجود قاص في العائلة. يمكنك ان تتزوج ابنتي.

واومأ الملك قائلا: طبعا سيكون العرس يوم الاثنين.

واقيمت في تلك الليلة احتفالات الفرح والابتهاج في المدينة ووزع على الناس كعك الزنجبيل وكل انواع الاشياء اللذيذة. فعبر الاولاد عن سرورهم بالصفير والهتاف لهذا الكرم.

وقال الشاب في نفسه «يحب ان اسهم في هذه الاحتفالات» فذهب الى المدينة واشترى كل ما وجد من الالعاب النارية والمفرقعات. ووضعها جميعاً في الصندوق وطار بها في الجو. وراح يدور في دوائر عظيمة ويطلق الالعاب النارية واحداً بعد آخر. فتواثب الناس على الارض فرحاً فتطايرت احذيتهم عن ارجلهم، لانهم لم يشهدوا مثل ذلك المنظر قبل هذا. فلا ريب ان الشاب كان ملكا من الملائكة

وما ان عاد ابن التاجر الى الكهف حتى اخفى الصندوق جيداً وعاد الى المدينة ليسمع ما يقول الناس عن عروضه في الالعاب النارية. وكان كل من رآه يقدم وصفاً للعرض يختلف عمن سواه ولكن الجميع اتفقوا على انهم لم يروا شيئاً مثل هذا.

فقال احدهم: رأيت الملاك بنفسي و كانت له عينان كالنجوم المتلألئة.

وقال آخر: كان يعوم على عباءة من نار وقد رأيت رؤوس ملائكة

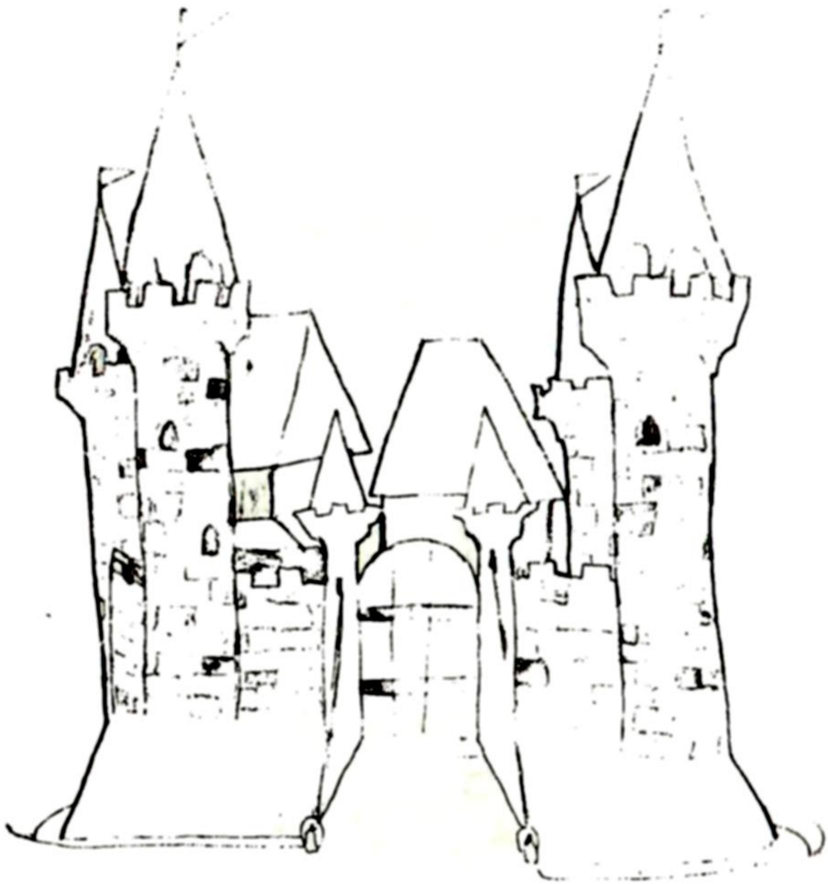
صغار تبرز من بين طياتها .

ثم اسـرع ابن التـاجـر الى الكهف سعيـداً بمـا حقق من نجاح في عروضه الرائعة .

وعنـدمـا وصـل الكهف الذي اخفى فيه الصندوق وجده قد اختفى ولم يبق منه سوى رماد خامد . فقد كان قد نسي مفرقعة نصف مشتعلة في الصنـدوق فاحتـرق الخشب الجاف . ولما يعد قادرا على الطيران ، فانـه لم يعـد بوسعـه الرجوع الى عروسه الموعودة ، لانه لم يجرؤ على الاعتراف انه لم يكن الا رجلا اعتياديا وليس ملاكا قط .

وقفت الاميرة تنتظره طوال اليوم ، ولعلها ماتزال تنتظر ، في الوقت الذي يجوب الدنيا يروي فيها القصص . ولكن لم تبلغ ايه واحدة منها جمال تلك التي قصها للملك والملكة وحاشيتهم .

البجعات البرية



في مكان بعيد تأوي اليه طيور السنونو في فصل الشتاء، عاش ملك له احـــد عشر ابنـاً وابنة واحدة اسمها اليزا. اعتاد الاخوة الاحد عشر، وكلهم امراء، ان يذهبوا الى المدرسة وعلى صدورهم نجوم والى جنوبهم سيوف، ويكتبون على الواح من ذهب باقلام من ماس، ويقرأون من غير كتاب كما يقرأون في كتاب على حد سواء، فلا شائبة اذن في كونهم امراء حقيقيين اما اختهم اليزا فقد كانت تجلس على كرسي صغير امام مرآة وبيدهـا كتـاب مصور كلّف نصف مملكة. لقد كان الاطفال في غاية

السعادة، ولكن سعادتهم لم تدم الى الابد.

تزوج ابوهم، ملك جميع البلاد، ملكة شريرة لم ترأف قط بالاطفال المساكين الذين اكتشفوا امرها في اليوم الاول، عندما اقيمت المهرجانات وقدمت المآدب في القصر، فمنعتهم من اللعب مع الاخرين، وبدلاً من ان تسمح لهم بأكل ماتحب انفسهم من كعك وحلوى تفاح، جعلتهم يأخذون شيئاً من الرمل في كوب شاي وقالت لهم عليكم ان تتخيلوا.

وفي الاسبوع التالي ارسلت اليزا الصغيرة الى الريف لتسكن مع بعض الفلاحين ولم يدم بها الامر طويلاً لتجعل الملك يصدق ما افترته على الاولاد فلم يعد يعنى بهم.

وقالت الملكة الشريرة: انطلقوا في هذه الدنيا واهتموا بانفسكم وطيروا مثل طيور لا اصوات لها.

ولكن لم تستطع ان تبلغ في السوء كما اشتهت لهم: فقد تحولوا الى احدى عشرة بجعة برية جميلة، طرن من نافذة القصر، وهن يطلقن صرخة غريبة، عبر المتنزه والغابات.

ووصلت البجعات في الصباح الباكر بيت الفلاح الذي كانت تنام فيه اختهن اليزا، وحامت فوق سطح البيت وهي تدير رؤوسها وتلوي اعناقها الطويلة، وتخفق باجنحتها، ولكن لم يسمعهن او يراهن احد. فاضطررن ان يعدن الى التحليق نحو الغيوم بعيداً في الدنيا الفسيحة، واستقر بهن المقام في غابة كبيرة مظلمة تمتد حتى الساحل.

اما اليزا الصغيرة فقد وقفت في حجرة الفلاح تلعب بورقة خضراء اذ لم تكن لديها اية لعبة اخرى. وخرقت فيها ثقباً صغيراً ونظرت خلاله الى الشمس. وخيل اليها كانها رات عيون اخوتها البراقة، وكلما لامست

اشعة الشمس الدافئة خدها ذكرتها بقبلات اخوتها .

ومضت الايام يشبـه بعضها بعضاً . وعندما هبت الريح تصفر في سياج شجيرات الورد خارج البيت ، همست الى الورد سائلة : «من يمكن ان يكون اجمل منك؟» .

غير ان الورد هز رأسه واجاب : «اليزا» وعندما جلست العجوز في مجاز بيتها تقرأ في كتاب التراتيل ، قلبّت الريح الاوراق وسألت الكتاب : «من يمكن ان يكون اتقى منك؟» فاجاب الكتاب : «اليزا» . ولم يقل الورد والكتاب سوى الحقيقـة . وكان يجب ان تعود اليزا الى القصر عندما بلغت الخامسة عشرة ، غير ان الملكة لما رأت مدى مابلغته من حسن ، غضبت غضباً شديداً ، وامتلأ قلبها حقداً ، وتمنت لو مسختها بجعة برية مثل اخوتها ، لكنها لم تجد الجراة ان تفعل ذلك في الحال فقد كان الملك يريد ان يرى ابنته .

وكانت الملكة تذهب كل يوم في الصباح الباكر الى الحمام المبني من المرمر والمجهز بالوسـائـد الـوثيرة والبُسط الجميلة . وتناولت ثلاث ضفادع وقبلتهن وقالت لاولاهن : اجلسي على راس اليزا عندما تدخل الحمام لكي تصبح بليدة كسلى وقالت للثانية : انت استقري على جبينها ، لكي تبدو قبيحة مثلك لئلا يعرفها ابوها وهمست للثالثة : وانت ارقدي على قلبها ودعي روحاً خبيثة تستبد بها لكي تكون عبئاً ثقيلاً عليها .

ثم وضعت الضفـادع في ماء صافٍ سرعان ما اصطبغ بلون اخضر . ونادت اليزا ، وخلعت عنها ثيابها وادخلتها الحمام . وما ان صارت تحت الماء حتى تسللت احدى الضفادع الى شعرها وجثمت الثانية على جبينها والثالثة على صدرها غير انها عندما نهضت ، طفت فوق الماء ثلاث

زهرات قرمزية من شقائق النعمان! ولو لم تكن هذه المخلوقات سامة ولو لم تقبلها الساحرة، لتحولت الى وردات ارجوانية. ومع ذلك فقد صارت زهوراً لمجرد استقرارها لحظة على راسها وصدرها. كانت طيبة، بريئة جداً فلم يكن للسحر سلطان عليها.

وعندما رأت الملكة الشريرة ذلك، مسحتها بعصير قشر الجوز ولطخت وجهها بمرهم كريه الرائحة. وجعلت شعرها الجميل متلبداً، فصار من المستحيل معرفة اليزا الحسناء. فارتعب ابوها عندما شاهدها وقال: لايمكن ان تكون ابنته. ولم يتحدث احد اليها بشيء، ما عدا كلب البيت وطيور السنونو، غير انها حيوانات بكماء لايسمع لها راي. وبكت اليزا المسكينة وفكرت باخوتها الاحد عشر الذين ضاعوا. وتسللت من القصر حزينة وتجولت طوال النهار في المروج والاهوار ودخلت غابة عظيمة. ولم تكن تعرف ابن كانت تسير، ولكنها شعرت بالحزن العميق والشوق لاخوتها الذين لاريب قد طردوا مثلها من القصر.

وعقدت عزمها ان تبحث عنهم، ولكن الليل ادركها وهي في الغابة بعد وقت قصير. فضلّت الطريق، واستلقت على اعشاب ناعمة وتلت صلاتها، ثم اراحت رأسها على مرتفع من الارض. وساد الهدوء ورقّ النسيم. وارسلت مئات من الحباحب - سراجات الليل - اشعتها حوها على العشب والهور كأنها النار الخضراء. وعندما ازاحت احد الاغصان فوق راسها برفق وقعت الحشرات الصغيرة المنيرة عليها مثل وابل من نجوم.

وحلمت باخوتها طوال الليل. وعادوا اطفالاً يلعبون معاً. ويكتبون على

الواح من ذهب باقلام من ماس وتفرجت في الكتاب المصور الذي كلّف نصف مملكة. ولم يعودوا يكتبون اشياء بلا معنى على الواحهم كما كانوا يفعلون سابقاً، بل صاروا يدونون مآثرهم الجريئة وكل ما رأوه وجميع ما مر بهم من تجارب. وغدا كل شيء في الكتاب المصور حياً. فغردت الطيور وخرج الناس يمشون من الكتاب وتحدثوا الى اليزا واخوتها. وكانوا يعودون الى اماكنهم في الكتاب عندما تقلب صفحة، لئلا تضطرب الصور.

وعندما استيقظت كانت الشمس عالية في السماء. وبالرغم من انها لم تستطع ان تراها جيداً من بين الغصون المتكاثفة في اشجار الغابة السامقة، غير ان الشمس كانت ترسل اشعة ذهبية رائقة وراء الغابة. وتضوع عطر الاعشاب الطرية فوّاحاً في الهواء، وكادت الطيور تحط على كتفيها وكان بوسعها ان تسمع خرير المياه من الينابيع الكثيرة التي تجري حولها نحو بركة ذات قاع رملي بديع. وقد احاطت بها شجيرات كثيفة ماعدا فجوة واحدة وطأتها الايائل، فمرت اليزا من خلالها الى حافة الماء الرائق، ولولا النسيم الذي داعب الاغصان لحسبتها قد رسمت على قاع البركة وقد انعكست كل ورقة بوضوح، سواء تلك التي عابثتها الشمس ام تلك التي كانت في الظل.

وعندما نظرت الى وجهها ارتعبت من شكله الادكن الدميم. ولكنها عندما بللت يدها الصغيرة ومسحت عينيها وجبينها، اشرقت بشرتها البيضاء مرة اخرى. ثم نضت عنها ثيابها ودخلت الماء العذب. وبدت طفلة بديعة ليس في الدنيا كلها من يضاهيها حسناً وعندما ارتدت ثيابها وضفرت شعرها الطويل، توجهت الى النبع المتدفق وشربت شيئاً من

الماء بكفها. ثم راحت تتجول في اغوار الغابة ولم تكن في الحقيقة تعلم اين هي سائرة: وفكرت باخوتها وبرب العالمين الذي لن يتخلى عنها. فوصلت شجرة تفاح دانية القطوف، تناولت منها غداءها، ثم وضعت دعـامات تحت الغصون المثقلة وواصلت سيرها في اشد اجزاء الغابة كثافة. كان الهدوء سائداً حتى سمعت وقع اقدامها على كل ورقة يابسة تطؤها. ولم تر طائراً، ولم يخترق شعاع من الشمس تلك الغصون المورقة وكانت جذوع الشجر السامقة متقاربة جداً بحيث بدت امام ناظريها كسياج مرصوص من الاعمق التي تطوقها من كل جانب. كانت عزلتها شديدة لم تعرف لها مثيلاً من قبل.

وكـان ظلام الليل حالكاً، ولم تتلألأ اي من سراجات الليل في الهور فاستلقت مهمـومـة لتنـام. وخيل اليهـا كان الغصـون التي فوقها قد انفرجت واطل عليها نور من الله تحف به ملائكة من الرحمن. وعندما افاقت في الصباح، لم تكن موقنة انها حلمت بذلك ام انه كان حقيقة واقعة.

ومشت قليلا فصادفت عجوزاً تحمل سلة مليئة بتوت العليق، اعطتها شيئاً منه.. فسألتها اليزا هل رأت احد عشر اميراً راكبين جيادهم يمرون من الغابة.

فقـالت العجـوز: لا، ولكني رأيت امسِ احـدى عشرة بجعـة على رؤوسهن تيجان من ذهب، يسبحن في جدول قريب. وقادت اليزا قليلاً الى منحدر يجري في اسفله جدول ملتو. وقد مدت الاشجار الوارفة على كل الضفتـين اغصـانهـا نحو بعضها فتشابكت وودعت اليزا العجوز وسارت الى جانب النهر حتى مصبه في البحر العظيم الفسيح الذي امتد

امام الفتاة في منتهى روعته، ولكنها لم تر شراعاً ولا زورقاً واحداً. فالى اين المسير؟ نظرت الى الحصى الذي لايحصى على الشاطيء وقد غدا مدوراً بفعل الماء، الذي كان يغسله فاضحى انعم من يدها الصغيرة. وقالت: لم يكل بالرغم من كل تموجه، فيغدو كل شيء صلباً ناعماً. ولذا فلن أكلّ وشكراً لك ايها الموج الصافي السائر على هذا الدرس! يحدثني قلبي انك ستحملني يوماً الى اخوتي الاحباء. والفت احدى عشرة ريشة من ريش البجع ملقاة على اعشاب البحر فالتقطتها وجعلت منها باقة وكانت قطرات الماء ماتزال عليها؛ أهي قطرات ندى ام دموع، لااحد يعرف ذلك. كانت الوحشة قاسية على الساحل، غير انها لم تشعر بها. لقد كان البحر دائم التغير. وفاقت التغيرات عليه في غضون سويعات كل مايجري على بحيرة طوال سنة. فاذا ما ارتفعت غمامة سوداء او كبيرة، فكأن البحر كان يود القول:

«اني ليسعني ان ابدو اسود ايضاً». ثم هبت الريح وتوّج الموج زبد ابيض. واذا ما كانت السحب حُمراً وهدأت الريح، فان البحر يبدو مثل ورقة ورد، تارة بيضاء واخرى خضراء. ولكن مهما كان هادئاً فثمة دائماً حركة رقيقة لدى الشاطيء، اذ يرتفع الماء وينخفض مثل صدر طفل نائم.

وعندما كانت الشمس على وشك المغيب، رأت اليزا احدى عشرة بجعة على رؤوسها تيجان من ذهب تطير باتجاه الشاطيء. كانت تطير في خط متمايل واحدة وراء اخرى مثل شريط ابيض خفاق. ارتقت اليزا الضفة واختبأت وراء شجيرة. وحطت البجعات قريباً منها وخففت باجنحتها البيض.

وما ان غربت الشمس وراء الماء، حتى القت البجعات ريشها وظهر احد عشر اميراً وسيماً، هم اخوة اليزا. وعلى الرغم من انهم تغيروا كثيراً الا انها عرفتهم في الحال وتاكدت انهم اخوتها فوثبت والقت نفسها تعانقهم وتدعوهم باسمائهم. فابتهجوا لدى معرفة اختهم الصغيرة التي كبرت وغدت جميلة. وضحكوا وبكوا وذكر احدهم الاخر بزوجة ابيهم الشريرة وكيف عاملتهم معاملة قاسية.

وقال كبيرهم: تحتم علينا نحن الاخوة ان نطير في هيئة بجع مادامت الشمس طالعة فوق الافق. فاذا ماغربت استعدنا اشكالنا البشرية.

لذا ينبغي لنا ان نظل نبحث عن مستقر لنا قرب مشرق الشمس لاننا اذا كنا طائرين بين الغيوم عند غروب الشمس فاننا نهوي من حالق الى الاعماق السحيقة. نحن لانعيش هنا. فثمة في افق المحيط ارض اخرى جميلة مثل هذه الارض، وراء البحر، غير ان الطريق اليها طويل وينبغي لنا ان نعبر المحيط الجبار من اجل الوصول اليها. وليس في الطريق جزيرة واحدة يمكننا ان نمضي الليل عليها، ما عدا صخرة صغيرة واحدة شاخصة فوق الماء في منتصف الطريق، لاتسعنا الا واقفين جنباً الى جنب، واذا ماهاج البحر، رشقنا بمياهه. ولكننا نحمد الله على ذلك. فنمضي الليل عليها في هيئتنا البشرية. ولولاها لما استطعنا ان نكرر زيارتنا لارض الاباء الحبيبة، لان الرحلة تستغرق اطول يومين في السنة، اذ يسمح لنا بزيارة بلاد ابائنا مرة واحدة في السنة، فنمكث احد عشر يوماً. ونظل نحوم فوق هذه الغابة حيث يمكننا ان نلمح القصر الذي ولدنا فيه، وحيث يعيش ابونا. ونستطيع ان نرى الكنيسة التي وراءه حيث دفنت امنا. ويخيل الينا ان الشجيرات التي هنا تخصنا وان الجياد البرية تعدو خبباً فوق البطائح كما اعتدنا ان نراها في طفولتنا ومايزال مضرمو نار الفحم يغنون الاغاني القديمة التي اعتدنا ان نرقص

معها عندما كنا اطفالاً. هذه هي بلادنا. ونحن ننجذب اليها وها نحن اولاء نجدك فيها، يااختنا العزيزة. سنبقى هنا يومين ثم نعود طائرين عبر المحيط، الى بلد جميل حقاً، غير انه ليس وطننا العزيز. فكيف يتسنى لنا ان ناخذك معنا. فلا سفينة لدينا ولازورق وقالت اختهم: «وكيف لي ان اخلصكم؟» واستمروا يتحدثون طوال الليل، ولم يغفوا إلا سويعات.

واستيقظت اليزا في الصباح على حفيف اجنحة البجع فوق رأسها فقد تحول اخوتها وشرعوا يد ورون في حلقات عظيمة حتى ابتعدوا ولم تعد تراهم، غير ان اصغرهم تخلف عنهم. والقى رأسه على صدرها وراحت تداعبه باناملها. ومكثا معاً طوال النهار. وعند المساء رجع الآخرون وما ان غابت الشمس حتى عادوا الى صورهم الطبيعية.

وقال قائلهم: لابد ان نطير غداً ولن نعود الا بعد سنة، ولكن ليس بوسعنا ان نتركك على هذه الشاكلة. آلديك الشجاعة الكافية لتذهبي معنا؟ فجناحاي قويان استطيع حملك فوق الغابة، وستكون قوتنا الموحدة كافية لحملك عبر البحر المحيط.

فقالت اليزا: اجل! خذوني معكم.

وامضوا الليلة كلها في نسج شبكة من لحاء الصفصاف اللدن، شد بسيقان الاسل، فغدت قوية واسعة؛ واستلقت اليزا عليها. وعندما بزغت الشمس وتحول الاخوة الى بجعات، رفعوا الشبكة بمناقيرهم وحلقوا عاليا بين الغيوم باختهم الغالية التي غطت في نوم عميق. وعندما مست اشعة الشمس وجهها، طارت احدى البجعات فوق رأسها لتلقى باجنحتها ظلا عليها.

ولما افاقت اليزا كانوا قد ابتعدوا كثيراً عن اليابسة، وحسبت انها كانت ماتزال تحلم - فقد بدا لها من الغريب ان تحمل في الجو عالياً فوق

البحر. وكان ملقى الى جانبها غصن عليق ناضج جميل، وحزمة من الصعتر البري العطر الذي جمعه لها اخوها الاصغر الذي ازجت اليه ابتسامة شكر. وعرفت انه هو الذي طار فوق رأسها يحجب الشمس عنها. كانوا يحلقون عالياً جداً. بحيث بدت اول سفينة يرونها مثل نورس يعـوم على الماء. وجاءت من ورائهم غمامة عظيمة كأنها الجبل فرأت اليزا ظلها على الغمامة وظلال البجعات كأنهم العمالقة. كان المنظر رائعاً لم تر اجمل منه قط من قبل. ولما رقت الشمس اسباب السماء، تخلفت الغمامة واختفت صورة الظل.

وظلوا يواصلون الطيران طوال اليوم مثل سهام لها ازيز في الهواء، ولكنهم كانوا يطيرون ابطأ من المعتاد لانهم كانوا يحملون اختهم معهم.

وهبت عاصفـة وكـان الليل مقبلاً فرأت اليزا بقلب خافق بالرعب ان الشمس بدأت تغوص، والصخرة المنفردة لااثر لها. وطفقت البجعات يضربن اجنحتهن بقـوة اشد من ذي قبل. واأسفاه، انها سبب عدم قدرتهم على الطيران اسرع من ذلك. فما ان تغيب الشمس، سيتحولون الى رجال ويهوون من حالق في اعماق اليم ويغرقون. فابتهلت الى الله من اعـماق قلبها، ولكن الصخرة لم تظهر للعيان. وتلبدت غيوم سود وهبت ريح شديدة تنذر بعاصفة عاتية. وبدت السحب مثل موجة رهيبة هائلة، وتوالى وميض البرق مسرعاً يتبع بعضه بعضاً.

وصـارت الشمس الان على حافـة البحـر. وخفق قلب اليزا، عندما انقضت البجعات فجأة الى الاسفل فحسبت انهن يهوين، ثم رحن يرفـرفـن مرة اخـرى. واختفى نصف الشمس تحت الافق، فرأت الصخرة الصغيرة في الاسفل اول مرة، ولم تكن تبدو اكبر من رأس فقمة فوق سطح الماء. وغابت الشمس سريعاً ولم تكن اكبر من نجمة، ولكن قدمهـا مست ارضاً صلبة واختفت الشمس مثل آخر شرارة من قطعة ورق-تحـترق. ووقف اخـوتها حولها متشابكين، ذراعاً بذراع، ولكن

المجال كان يتسع لهم. وتلاطم الموج بالصخرة وتناثر فوقهم مثل مطر منهمر. وراحت السماء تضطرم بنار متواصلة ودوي الرعد، قصفاً على قصف. ولكن الاخت والاخوة ظلوا متماسكين بالايدي. وهم ينشدون التراتيل التي حبتهم بالراحة والشجاعة.

وكان الهواء رائقاً وهادئاً عند الفجر. وما ان بزغت الشمس، حتى طارت البجعات محلقات باليزا من الصخرة الصغيرة، وكان البحر مايزال هائجاً. وبدا لهم من عليائهم كأن الزبد الابيض على الماء الاخضر الادكن اشبه بملايين البجع العائم على الامواج.

ولما بلغت الشمس كبد السماء، رأت اليزا امامها، جبالاً هائلة من الجليد طافية حتى منتصفها في الهواء ومن مرتفعاتها تنحدر انهار منجمدة مشرقة وفي وسط ذلك كله قصر طوله نصف ميل مشيد من اعمدة فوق اعمدة. وتحته تميس اشجار نخيل وزهور كبيرة كأنها دواليب ضاحونة. وسألت اخوتها هل هذه هي الارض التي تقصدون ولكن البجعات هزت رؤوسها لان ما رأت لايعدو ان يكون سرابا، هو قصر «فاتا موركانا» الجميل الذي لايقر له قرار. ولايجرؤ احد من البشر على دخوله. فحدقت اليزا به، وما ان ظلت تحدق حتى ذاب القصر والحدائق والجبال وتلاشى كل شيء وحل في محلها عشرون بيتاً شامخاً من بيوت الله بابراجها السامقة.

وخيل اليها انها تسمع انغام الارغن، غير انها في الحقيقة لم تسمع سوى البحر. وما ان اقتربوا من تلك البيوت حتى تحولت الى اسطول عظيم يبحر تحتهم، بيد انه لم يكن سوى ضباب البحر فوق المياه وظلت ترى تغيرات متواصلة تجري امام عينيها، غير انها ابصرت الآن ارضاً حقيقية قاصدة اليها. وانتصبت امامها جبال جميلة زرق تغطيها غابات ارز وقصور وقبل ان تغرب الشمس بكثير، جلست بين الروابي امام كهف كبير تغطيه نباتات متسلقة خضر، رقيقة، بدت كأنها مطرزة.

فقال الاخ الاصغر وهو يريها المكان الذي ستنام فيه: سنرى الآن ماتحلمين به الليلة فقالت: اتمنى لو احلم كيف يمكنني ان اخلصكم!

وقد اشغلت تلك الفكرة رأسها. وصلت الى الله تطلب عونه. وظلت حتى في نومها تواصل صلاتها. وخيل اليها انها كانت تطير الى فاتا موركانا في القصر الذي في الهواء. فجاءت الجنية اليها. وكانت فاتنة، متألقة ولكنها كانت تشبه العجوز التي اعطتها توت العليق في الغابة واخبرتها عن البجعات ذوات التيجان الذهبية.

قالت الجنية: يمكن خلاص اخوتك، ولكن ألديك الشجاعة والصبر على ذلك؟ البحر في الحقيقة ارق من يديك ولكنه يستطيع ان يصوغ اصلب الصخور، وهو لايشعر بالألم الذي تحسه اصابعك، اذ لاقلب له ولن يعاني من الم مبرح وكرب شديد كالذي تعانين. اترين نبتة الشوك اللاسع احملها في يدي؟ كثير منها ينمو في الكهف حيث تنامين. ولايجوز استعمال غير هذه الاشواك فانتبهي الى ذلك! اقطفيها حتى ولو تحرق يديك وتخزك. واسحقي الاشواك بقدميك ستحصلين على خيوط الكتان. انسجي منها احد عشر درعاً من زرد ذات اردان طويلة. القيها على البجعات البرية الاحدى عشرة وسوف ينحل السحر. ولكن تذكري:عليك الا تنطقي بكلمة منذ اللحظة التي تبدئين هذا العمل الى ان ينتهى حتى ولو استغرق سنوات. وما ان تتفوهي باول كلمة حتى تسقط كالخنجر القاتل في قلوب اخوتك. فحياتهم معلقة بلسانك. انتبهي الى هذا جيداً!.

ولمست يدها في اللحظة نفسها. وكانت اللمسة كالنار المحرقة

فايقظت اليـزا . كان النهـار مشـرقـاً ، والى جانبها ، حيث كانت راقدة ، شوكة مثل تلك التي رأتها في حلمها .

وسجـدت لله تحمـده وغـادرت الكهف لتبـدأ العمل . ومسكت الشوك المروع بيديها الرقيقتين ، فاحترقتا كما في النار . وظهرت بثور كبيرة في يديهـا وذراعيهـا ولكنها تحملت ذلك عن طيب خاطر من اجل خلاص اخـوتهـا الاعـزاء وسحقت كل شوكـة بقـدمها الحافية وفتلتها في خيط اخضر من الكتان .

وعنـدمـا غربت الشمس وعـاد اخـوتهـا ، ذعروا عندما وجدوها بكماء ، لاتتكلم . وحسبـوا ان ذلـك سحـرٌ جديد مارسته زوجة ابيهم الشريرة ، غير انهم لما رأوا يديها عرفوا ان ذلك من اجلهم فبكى اصغرهم . واينما سقطت دموعه زال الالم واختفت البثور . وامضت الليلة بطولها تعمل ، لانهـا لايمكن ان ترتاح حتى تخلص اخوتها الاعزاء . وجلست وحدها طوال نهار اليوم التالي ، عندما خرج اخوتها ، غير ان الوقت لم ينقضِ بمثـل هذه السـرعـة الفـائقـة . وانتهت من اول درع من الزرد وشرعت بالثـاني . ثم سمعت بوق صيد يصـدح بين الجبال ، فارتعبتْ واقترب الصـوت وسمعت الكـلاب تنبـح . ودخلت الكهف مسـرعـة في رعب شديد وشدت الاشواك التي جمعتها ونسجتها في حزمة وجلست عليها وانقض كلب من الاحـراش ونبعـه آخـر ثم آخـر ، وهي تنبح نباحاً عالياً وتجـري ثم تعـود من حيث اتت ، حتى جاء جميـع الفرسان بعد دقائق معـدودات ووقفـوا ببـاب الكهف وكان اكثرهم وسامة ملك البلاد وتقدم الى اليزا ولم ير في حياته فتاة بمثل هذا الجمال .

فسألها : كيف اتيت الى هنا ايتها الطفلة الجميلة؟

فهزت اليزا رأسها ولم تجرؤ على الكلام لان خلاص اخوتها وحياتهم يتوقفان على صمتها. واخفت يديها تحت مئزرها، لئلا يرى الملك مالقيت من عناء.

فقال لها: «هيا معي، لايمكن ان تبقي هنا. وسوف اكسوك بثياب من حرير ومخمل، واضع تاجاً من ذهب على رأسك، وستعيشين معي ويكون بيتك في قصري الثري». ثم رفعها على حصانه فبكت وقاومت وعصرت يديها ولكن الملك قال لها: «اني لاافكر الا بسعادتك وسوف تشسكرينني يوما على مافعلت». ثم انطلق بها عبر الجبال وهو يمسك بها امامه على حصانه، وتبعه الفرسان وعندما غربت الشمس بانت المدينة الملكية امامهم بقصورها وقبابها، وقادها الملك الى قصره حيث النافورات العظيمة في القاعات المرمرية، والجدران والسقوف المزينة بالرسوم، غير انها لم يرقها اي شيء من ذلك. وظلت تبكي وتتألم. ولم تسمح للنساء ان يلبسنها الثياب الملكية ويزين شعرها باللؤلؤ، ويضعن يديها المتألمتين من البثور في قفازين إلا كرهاً.

كان جمالها باهراً وهي تقف في كامل روعتها. فانحنى لها رجال حاشية الملك الذي خطبها عروساً لنفسه، بالرغم من ان رئيس الاساقفة هز رأسه وهمس انه يخشى ان تكون حسناء الغابة ساحرة بهرت ابصارهم، وفتنت الملك.

ورفض الملك ان يصغي اليه. فامر ان تعزف الموسيقى، ويقدم افخر الطعام، وان ترقص اجمل الفتيات امامها. واقتيدت للسير في رياض عطرة غناء لتذهب الى حجرات فائقة الروعة، ولكن شيئاً من ذلك لم يجلب البسمة الى شفتيها او عينيها فقد جلست مهمومة، مغمومة طوال

الوقت. واخيراً، فتح الملك باب حجرة صغيرة الى جانب الحجرة التي ستنام فيها. كانت مزدانة بانفس البسط وجعلت بحيث تشبه الكهف تمام المشابهة الكهف الذي وجدت فيه. ووضعوا على الارض حزمة الخيوط التي غزلتها من الاشواك، وعلقوا من السقف درع الزرد الذي اكملته وقد جلب احد الصيادين كل تلك الاشياء لتكون تحفاً نادرة فقال الملك: يمكنك ان تحلمي هنا انك قد عدت الى بيتك السابق. وهاهوذا العمل الذي كنت منشغلة به. وقد يسليك في وسط ابهتك ان تستذكري تلك الأيام.

وعندما رأت اليزا كل الاشياء العزيزة الى نفسها علت ابتسامة شفتيها اول مرة وتدفق الدم الى خديها. وفكرت بخلاص اخوتها وقبلت يد الملك. وضمها الى صدره وامر ان تقرع جميع اجراس الكنائس ليعلن زواجه من بنت الغابة الخرساء الجميلة لتكون ملكة على البلاد.

وهمس رئيس الاساقفة كلاماً بغيضاً في اذن الملك غير انه لم يصل قلبه، بل سيتم الزواج وعلى رئيس الاساقفة ان يضع التاج الذهبي على رأسها. فضغطه بقوة على راسها من شدة غضبه فتألمت ولكن تاجاً اثقل من ذلك ضغط على قلبها، من حزنها على اخوتها، فلم تفكر بالالم البدني. وكانت شفتاها مطبقتين اذ ان كلمة واحدة تفوه بها تكلف اخوتها حياتهم، ولكن قلبها كان مفعماً بالحب للملك الطيب الوسيم الذي فعل كل شيء من اجل يجلب المسرة اليها وطفقت كل يوم تزداد تعلقاً به. وتاقت نفسها ان تودعه اسرارها وتخبرها عن معاناتها، ولكن عليها ان تظل صامتة وان تتم عملها في صمت فكانت تتسلل ليلا من جانبه الى حجرتها السرية المزينة كالكهف، وتروح

تنسج درعاً بعد درع وعندما بلغت السابع انتهى جميع مالديها من خيوط. وكانت تعلم ان هذه الاشواك التي تريدها تنمو في حديقة الكنيسة، ولكن عليها ان تقطفها بنفسها. فكيف الوصول اليها؟ وفكرت في نفسها: ولكن ما الالم الذي في اصابعي بالنسبة الى الكرب الذي في قلبي؟ يجب ان اغامر بالخروج ولن يتخلى الله عني.

ويرعب شديد كمن يقترف اثماً شريراً، تسللت ذات ليلة مقمرة الى الحديقة وسارت في الممرات الضيقة حتى خرجت الى الشوارع المقفرة الصامتة ثم الى الكنيسة. كان الظلام حالكا والمكان موحشاً ولكنها اقتطفت الاشواك اللاسعة واسرعت بها الى القصر ولم يرها سوى شخص واحد هو رئيس الاساقفة الذي كان يحرس اثناء نوم الآخرين. وبهذا تأيدت الآن جميع ظنونه السيئة بشأن الملكة لابد انها ساحرة ولذلك سحرت الملك وجميع الناس. فاخبر الملك، وهو على كرسي الاعتراف بما رأى وما يخشى. ولما نطق بتلك الكلمات، هزت صور القديسين رؤوسها كأنها تقول: كلا، اليزا بريئة». ولكن رئيس الاساقفة اخذ الامر مأخذاً مختلفاً، وظن انهم يشهدون عليها ويهزون رؤوسهم من اثمها. سالت على خدي الامير دمعتان، وعاد الى البيت والشك يعمر قلبه وتظاهر بالنوم ليلاً، ولكن الكرى لم يداعب عينيه ولاحظ كيف كانت اليزا تنهض وتذهب الى حجرتها الخاصة. وكان وجهه يزداد عبوساً يوماً بعد يوم، ولاحظت اليزا ذلك ولكنها لم تدرك سبب ذلك. وذعرت، أولم تكن معذبة الفؤاد بسبب اخوتها؟ وانهمرت دموعها المرة على ثوبها الارجواني المخملي واستقرت عليه مثل حبات ماس متلألىء، وتمنى كل من رأى بهاءها ان

يكون الملكة.

على انهـا كادت تبلغ نهـايـة عملهـا ولم يبق الا درع زرد واحد، ولكن الخيـوط نفـدت ولم يبق لديهـا ايـة شوكة. فعليها ان تذهب مرة اخرى واخيـرة الى حديقـة الكنيسـة لتقطف حفنـات قليلة من الاشـواك.

وخشيت من المشي وحـدهـا ومن الظـلام ولكن ارادتها كانت قوية مثل ايمانها بالله.

خرجت اليـزا وتبعهـا الملك ورئيس الاسـاقفة. وشاهداها تتوارى وراء البـاب ذي القضبـان المؤدي الى حديقـة الكنيسـة فتألم الملك المـاً شديـداً لانـه ظنهـا ساحـرة دون ادنى ريب وقـال مغتـاظـاً: «يجب ان يحاكمها الشعب».

واصـدر الشعب حكمـه: لتحـرق في نار متـاججة اللهب واقتيدت من جناحها الملكي الرائع الى زنزانة مظلمة رطبة حيث تصفر الريح خلال النافذة ذات القضبان واعطوها بدلاً من الحرير والمخمل حزمة الاشواك التي جمعتها لتضع رأسها عليها، وتتغطى بدروع الزرد اللاسعة، ولم تعط شيئاً غير ذلك.

فاستأنفت عملهـا وهي تبتهـل الى الله. وكـان الاطفـال خارج السجن ينشدون في الشارع اغاني تسخر منها. ولم يواسها احد بكلمة طيبة.

وعنـد المسـاء سمعت حفيف اجنحـة البجـع قريبـاً من نافـذتها. لقد وجـدهـا اخوها الاصغر آخر الامر. ونشج من فرحه بالرغم من انه يعلم ان هذه الليلة قد تكـون ليلتهـا الاخيـرة، ولكن عملها اوشك ان ينتهي وقد حضر اخوتها جميعاً.

وجـاء رئيس الاسـاقفـة ليبقى معهـا في ساعـاتهـا الاخيـرة كمـا عاهد

الملك، غير انها هزت رأسها ورجته بنظراتها واشاراتها ان يتركها وحيدة. لم تكن لديها سوى هذه الليلة لتكمل عملها والا ضاع كل شيء ـ المها ودموعها ولياليها المسهدة. وخرج رئيس الاساقفة وقد رماها بكلمات قاسية، ولكن اليزا المسكينة تعرف انها بريئة، فواصلت عملها.

وركضت الفئران الصغيرة حولها تجلب الاشواك الى قدميها لكي تقدم لها العون الذي تستطيع تقديمه. وحط طائر من طيور السمّان على قضبان النافذة وراح يغرد طوال الليل تغريداً يدخل العزيمة الى قلبها. اقبل الفجر ولم يبق على شروق الشمس الا ساعة. وكان الاخوة الاحد عشر واقفين على باب القصر يرجون مقابلة الملك. ولم يسمح لهم لان الوقت مايزال ليلاً. فقد كان الملك مايزال نائماً ولا يجرؤ احد على ايقاظه. وخابت جميع توسلاتهم وتهديداتهم. وانتهت الحراسة وخرج حتى الملك نفسه ليرى ما الخبر. ولكن الشمس بزغت، ولم يبق للاخوة اثر ـ فقد راحت احدى عشرة بجعة تحوم فوق القصر.

وتدفق الناس من ابواب المدينة متلهفين الى رؤية الساحرة وهي تحرق وكان حصان بائس يجر العربة التي اجلست فيها اليزا. والبسوها ثوباً فضفاضاً من الحشيش الاخضر. وانسدل شعرها الطويل الجميل مبعثراً من الراس الفاتن. وشحب وجهها شحوب الموتى وتحركت شفتاها برفق، واصابعها لم تكف عن نسج الخيوط الخضر. فلم تترك عملها حتى في طريقها الى الموت وقد كانت عشر دروع مزردة ملقاة عند قدميها كاملة. ومضت تعمل في الدرع الحادي عشر بين اهانات الناس الساخرة، الذين راحوا يصيحون: انظروا الى الساحرة! كيف

تتمتم؟ وليس بين يديها كتاب الله، بل هي جالسة مع سحرها البغيض خذوه منها ومزقوه إربا واكتض الجمهور حولها ليدمروا عملها، ولكن احدى عشرة بجعة برية هبطت في الحال على العربة وهي تخفق باجنحتها. فانفض الحشد امامها مذعورين.

وهمسوا قائلين: تلك آية من آيات السماء! انها بريئة ولم يجرؤ احد ان يجهر بالقول.

ومسكها الجلاد من يدها، ولكنها اسرعت بالقاء دروع الزرد الاحدى عشرة على البجعات التي تحولت في الحال الى احد عشر اميراً وسيماً ولكن اصغرهم ظل محتفظاً بجناح البجعة بدل ذراعه، لان الدرع تنقصه ردناً واحدة. فلم تستطع اتمامها.

وقالت: آن لي ان اتكلم الآن! فانا بريئة.

وانحنى الناس الذين شاهدوا ماجرى اجلالاً لها كانها قديسة، غير انها خرت فاقدة الوعي بين ذراعي اخيها. فقد اجهدها التوتر والهلع والعذاب.

وقال اخوها الاكبر! اجل، انها بريئة حقاً. ثم روى لهم جميعاً ماحدث وبينما كان يتحدث تضوع الهواء بعطر رائع فوّاح في جميع الارجاء كأنه شذا ملايين الورود. فقد غدا لكل قطعة من حطب المحرقة جذوراً واطلعت اغصاناً، فارتفع سياج من ورد احمر، وفي اعلاها زهرة ناصعة البياض تشرق كالنجم، فقطفها الملك ووضعها على صدر اليزا، فافاقت طافحة القلب بالطمأنينة والحبور.

وحلقت الطيور المغردة حولهم. وسار موكب عرس عظيم الى القصر لم يشهد ملك له مثيلاً من قبل!

الذي سار على عكازين، واني لاعرف زهرتي تمام المعرفة.

ففتح الطفل عينيه ونظر في وجه الملاك البهي السعيد والفيا نفسيهما في ذلك البيت السماوي حيث السعادة والبهجة. فحظي برعاية من الرحمن ووهب جناحين يطير بهما في صحبة الملاك وتلقت الزهور نفحة قلبية، ونالت زهرة الحقل الذاوية قبلة منحتها صوتاً شاركت به نشيد الملائكة المحيطة بالعرش في حلقه تلو حلقة، وهم جميعاً سعداء في رفع آيات الشكر والثناء صغاراً وكباراً. وحتى الطفل الطيب السعيد وزهرة الحقل، التي كانت ذات يوم ملقاة في زقاق ضيق مظلم.

هولكر الدنماركي



في بلاد الـدنمـارك قلعـة قديمـة تدعى كرونبـورك على مقـربـة من المضيق. وتمـر بهـا كل يوم مئات السفن الكبيرة ـ الروسية والانكليزية والبـروسيـة، ومن بلدان اخرى كثيرة. وتطلق نيران مدافعها اذا ما مرت بالقلعـة، وتجيبها مدافـع القلعـة فكأنهـا تقـول «شكراً» على «صباح الخيـر». ولاتبحـر السفن في الشتـاء لان المـاء يتجمد حتى شواطيء

السويد. ويصبح المضيق طريقاً عاماً عظيماً تخفق عليه اعلام السويد والدنمارك فيحيي الدانماركيون والسويديون بعضهم بعضاً ويقولون: كيف حالكم؟ فيجيبونهم: شكراً لكم، ولا يستعملون المدافع بل يتصافحون بود. ويبتاعون الخبز والكعك الممتاز بعضهم من بعض، لان الطعام الاجنبي اطيب.

ولكن قلعة كرونبوك القديمة تظل من المعالم البارزة حيث يقيم هولگر الدنماركي في القبو العميق المظلم، مدججاً بدرع من فولاذ وحديد ويريح راسه على ذراعيه القويتين وتتدلى لحيته على المنضدة المرمرية التي التصقت بها وينام ويحلم، ويرى في احلامه كل مايحدث في الدنمارك. ويأتيه ملك مقدس في ليلة عيدالميلاد. ويخبره ان احلامه صادقة. ويمكن ان يعود الى النوم لان الدنمارك ماتزال بعيدة عن الخطر. واذا ماداهمها خطر فان هولكر الدنماركي العجوز يهب من مكانه وتتحطم المنضدة عندما ينتزع لحيته منها. فيتقدم ويضرب ضربة تدوي في جميع ارجاء العالم.

جلس جد عجوز يقص على حفيده الصغير كل ذلك عن هولكر الدنماركي، ويعتقد الصبي الصغير ان كل مايقول جده صحيح. وكان الشيخ جالساً يتحدث وهو ينحت تمثالاً كبيراً من الخشب يمثل هولكر الدنماركي ليكون في مقدم سفينة. كان الشيخ نحاتاً ينحت تمثالاً في مقدم كل سفينة على وفق اسمها. فنحت هولكر الدنماركي منتصباً، فخوراً، بلحيته الطويلة. ويحمل في يده سيفاً عظيماً عريضاً ويضع اليد الاخرى على ترس دنماركي. وتحدث الجد الشيخ كثيراً عن شخصات دنماركية رائعة، من الرجال والنساء، حتى خيل للصبي

اخيراً انه يجب ان يعلم كثيراً كما يعلم هولكر الدنماركي الذي لايحلم إلا بهذه الامور. واذا ماذهب الصغير الى فراشه، فكر كثيراً بالاشياء التي سمعها وراح يضغط ذقنه بقوة في لحافه حتى خيل اليه انها لحية طويلة نابتة فيه.

وبقي الجد الشيخ جالساً الى شغله ينقش آخر جزء فيه، وهو الصور على الترس، حتى اتمه، وفكر بكل ماسمع وقرأ وكل ماحدث الصبي به في المساء واومأ برأسه ومسح نظارته ولبسها مرة اخرى وقال: «لأخال هولكر الدنماركي سيظهر في ايامي، ولكن لعل الصبي النائم في فراشه هذا يراه ويشارك في الحرب عندما يحين الاوان». ثم عاد الجد يهز رأسه؛ وكلما تأمل هولكر الدنماركي، اتضح له ان التمثال الذي صنعه جيد. وخيل اليه ان اللون قد دب فيه وان الدرع صار يلتمع كالفولاذ الصقيل. واشتد احمرار القلوب التسعة التي تحيط بالاسود الثلاثة المتوثبة. وغدت التيجان التي على رؤوسها ذهبية.

فقال الشيخ: انه اروع شعار على ترس في العالم! الاسود تمثل القوة والقلوب تمثل المحبة والحنان.

ونظر الى الاسد الاعلى فخطر بباله الملك «كنوت» الذي ضم انكلترة الجبارة الى عرش الدنمارك. ونظر الى الاسد الثاني ففكر في «فالديمار» الذي وحد الدنمارك واخضع الوندال. ونظر الى الاسد الثالث فتذكر مركريت التي وحدت الدنمارك والسويد والنرويج. وعندما نظر الى القلوب الحمر، الفاها يشتد بريقها وتوهجها فغدت لهباً مضطرماً من النار. وراح يتابع كل واحد منها في افكاره فقاده الاول الى سجن ضيق مظلم حيث رأى سجيناً وكان السجين امرأة حسناء ـ

هي اليـونـورا اولفيلد، ابنـة كرستيان الرابع فاستقر اللهب على صدرها كالـوردة التي تفتحت متنـاسقـة مع قلب انبل نساء الدنمارك وافضلهن وقـال الشيـخ : «هذا احد القلوب في شعار الدنمارك» ثم تابعت افكاره القلب الثاني الذي قاده الى البحر بين دوي المدافع والسفن التي يلفها الدخان. فتعلق اللهب على صدر هيفتفيلد مثل وسام وهو يفجر سفينته وهو فيها لينقذ الاسطول.

وقاده القلب الثالث الى اكواخ كرينلند البائسة حيث وجد القس هانس إيجيـدره متـالقـاً في اقواله وافعاله. وغدا اللهب نجما على قلبه، ذلك القلب في شعار الدنمارك.

وتقدم قلب الجد الشيخ على اللهب المضطرم لانه يعلم الى اين يقوده اللهب. الغى فردريـك السـادس وافقـاً في حجـرة فلاحـة فقيرة وكتب اسمه على خشبات السقف. فارتعش اللهب على صدره ـ ارتعش في قلبـه. وقـد غدا قلبـه في حجرة الفلاحة قلبا في شعار الدنمارك فمسح الجد عينيه، لانه كان يعرف الملك فردريك وعاش من اجله ـ الملك فردريـك بشعـره الفضي وعينيـه الزرقاوين المخلصتين. ثم طوى يديه وجلس ينظـر متأمـلاً امامه. واقبلت كنته تخبره ان الوقت قد تأخر وعليه ان يرتاح، وقد اعدت العشاء.

وقـــال: ماعظم هذا التمثـــال الـذي صنعت، ايهـا الجـد، لهـولكـر الـدنمـاركي وشعـارنـا الجميل. واحسب اني رأيت الوجه من قبل هذا فقال الشيخ: كلا، لم تري ذلك، ولكنني رأيته وحاولت مرارا ان انحته في الخشب، كمـا اتـذكـره ففي اليـوم الثـاني من نيسـان غزا الانكليز شواطئنـا، فاثبتنـا اننـا دنمـاركيون اقحاح. كان الى جانبي رجل عندما

وقفت في سفينة «الدنمارك» من اسطول ستين بيله، ويبدو كأن القنابل تخشاه. راح يغني الاغاني القديمة وهو يحارب ويكافح الاعداء بروح اقوى من البشر. ومازلت اتذكر وجهه ولكني لا اعلم من اين جاء والى اين ذهب ولا يعرف غيري شيئاً من ذلك ايضا. وقد فكرت في نفسي مراراً لابد ان يكون هولكر الدنماركي العجوز نفسه قد سبح من قلعة كرونبورك ليساعدنا في ساعة الخطر. هذه هي فكرتي وهذا هو تمثاله.

وقد القى التمثال ظله على الحائط حتى السقف. وبدا كأنه هولكر الدنماركي الحقيقي نفسه واقفاً في ضوء الشمعة وكأن ظله يتحرك ولعل ذلك ناشيء عن الشمعة التي لم تكن تشتعل بانتظام. وقبلت الكنة عمها الشيخ وقادته الى الكرسي الكبير ذي المسندين لدى المنضدة حيث جلست مع زوجها، ابن الشيخ ووالد الصبي الراقد في السرير، وشرعوا يتناولون عشاءهم ويثرثرون.

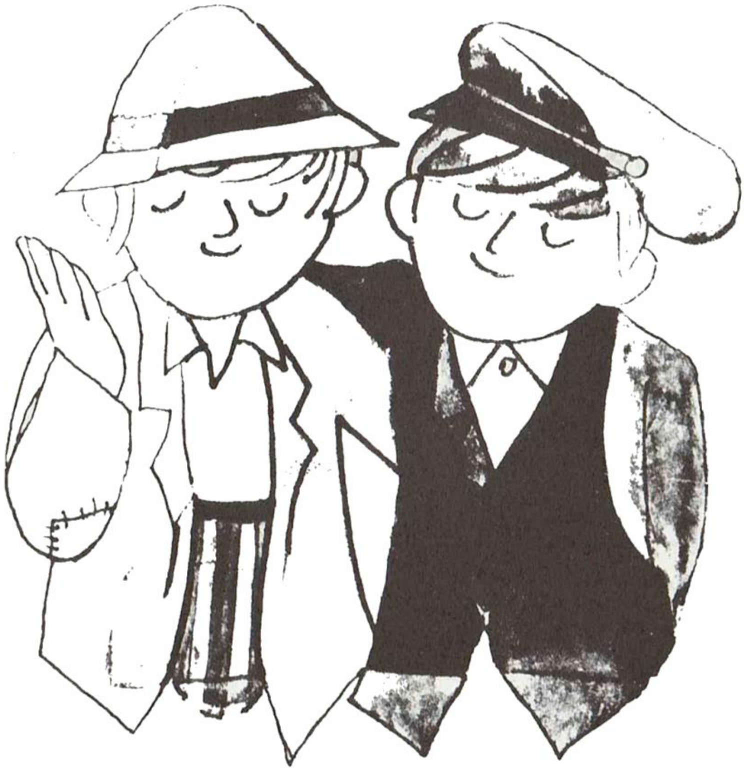
وقد ملأت الاسود والقلوب الدنماركية والقوة والوداعة رأس الشيخ وخياله ولم يكن بوسعه الحديث عن غير ذلك. واوضح لهما وجود قوة غير قوة السيف واشار الى الرف حيث صفت كتبه القديمة وكلها مسرحيات هوليرك التي قرأها كثيرا لأنها شائعة وكانت شخصياتها من اقدم العصور مألوفة لديه.

فقال الشيخ: تريان انه يعرف كيف يحارب ايضا فقد امضى حياته يعرض في مسرحياته حماقات الناس الذين حوله وخصوصياتهم.

واشار الجد برأسه الى مكان فوق المرآة حيث علق تقويم فيه صورة «البرج المستدير» وقال: كان تيكو براهة رجلاً آخر استخدم السيف، لا لقطع ارجل الناس واذرعهم بل لشق طريق واضح بين نجوم السماء!

ثم هناك «ثور ڤالدين» ابن النحات العجوز الذي لاينتمي الى مهنتي. وقد رآيناه بانفسنا بخصلات شعره الفضية المنسدلة على منكبيه العريضين وكان اسمه معروفاً لدى الدنيا كلها.
كان نحاتاً بارعاً في الحجر وانا مجرد نقاش على الخشب.
اجل، ان هولكر الدنماركي يظهر بهيئات كثيرة لكي تعرف الدنيا بقوة الدنمارك.
وكان الصبي يرى بوضوح وهو فراشه قلعة كرونبورك وهولكر الدنماركي الحقيقي الذي يقيم في قبوها العميق ولحيته نابتة في المنضدة المرمرية. ويحلم بكل مايحدث في الاعلى. وحلم هولكر الدنماركي بالحجرة الصغيرة البائسة التي يسكن فيها نحات الخشب. وسمع كل ماقيل فيها وأومأ برأسه في احلامه وهو يتمتم: اجل، تذكرني ايها الشعب الدنماركي! ولاتنسوا ذكري، فسأخف اليكم عند الضرورة.
وكان النهار مشرقا خارج قلعة كرونبورك وحملت الريح انغام بوق الصياد من الساحل المقابل. ومرت السفن بالقلعة وهي تلقي تحياتها وترد قلعة كرونبورك التحية. ولم يستيقظ هولكر الدنماركي، على الرغم من شدة الدوي لان ذلك لم يكن يعدو قول: «كيف الحال؟» و«شكراً!» فيجب ان يكون الاطلاق مختلفاً لأيقاظه وسينهض بلا ادنى خوف. فان لهولكر عزمه وثباته.

الجرس



عنـد الاصيـل ، وحينمـا تبـدو لمحـات من غيـوم ذهبيـة بين رؤوس المداخن ، يُسمع صوت غريب ، يسمعه شخص واحد اولاً ، ثم آخر ، كأنـه جرس كنيسـة ، غيـر انـه لايـدوم اكثـر من لحظـة ، بسبب قعقعـة المركبات وضجيج الشارع .

ويقـول النـاس : هذا جرس المسـاء ، فان الشمس تغرب : ومن يخرج

من المدينة الى حيث البيوت متناثرة ولكل منها حديقته اومرجه الصغير، فانه يرى نجم المساء ويسمع انغام الجرس بصورة افضل. ويبدو له كأن الصوت قادم من كنيسة كامنة في غابة عطرة يلفها الصمت، فينظر الناس صوب تلك الناحية، وهم يشعرون بالاجلال.

مضى الوقت وظل الناس يتساءلون: «أيمكن ان توجد كنيسة في الغابة؟ ذلك الجرس له صوت عذب غاية العذوبة! أنذهب ونبحث عنه بشكل ادق؟» وخرج الاثرياء في عربات ومشى الفقراء، ولكن الدرب طويل. وعندما بلغوا مجموعة من الصفصاف عند طرف الغابة، جلسوا ونظروا بين الاغصان الطويلة، وهم يحسبون انفسهم في صميم الغابة. وجاء حلواني من المدينة ونصب خيمة هناك، ثم جاء حلواني آخر، وعلق جرساً على خيمته، ولكن الجرس مطلي بالقير لكي يقاوم المطر. وكانت المصفقة مفقودة. وعندما عاد الناس الى بيوتهم، قالوا انه شيء رائع، وهم يعنون انه احلى من شاي العصر.

واعترض ثلاثة اشخاص قائلين انهم تغلغلوا مخترقين الغابة الى الطرف الآخر. وقالوا انهم سمعوا صوت الجرس العجيب طوال الوقت، ولكن يبدو انه كان آتياً من المدينة.

وكتب احدهم قصيدة عن ذلك ووصفه انه مثل صوت ام تناغي وليدها الحبيب. وليس في الدنيا نغمة احلى من رنين هذا الجرس. ولفت انتباه الامبراطور الى ذلك، فتعهد ان يمنح لقب «قارع الاجراس العالمي» لكل من يكتشف مصدر الصوت، حتى ولو لم يكن ثمة جرس.

وخرج عدد كبير من الناس الى الغابة من اجل كسب المال بشرف،

ولم يأتِ احد باي تفسير سوى واحد منهم فقط، ولم يتوغل احد بعيداً حتى هذا الرجل نفسه، غير انه قال ان صوت الجرس قادم من بومة كبيرة جداً في شجرة مجوفة، وهي بومة حكيمة كانت تضرب رأسها دوماً بالشجرة، غير انه لايعلم علم اليقين هل كان الصوت صادراً من رأسها ام من الشجرة المجوفة. ولكنه عُين، على اية حال، «قارع الاجراس العالمي» وكان يكتب كل عام بحثاً عن البومة، ولكن احداً لم يصب نصيباً اوفر من الحكمة.

وفي يوم مشمس بديع خرج الشباب من المدينة، وسمعوا صوت الجرس المجهول يأتي من الغابة اعلى من المعتاد. فتلهف الجميع للذهاب من اجل رؤيته - عدا ثلاثة. اولهم فتاة ارادت العودة الى البيت لتجرب ثوب حفلة راقصة. اما الثاني فصبي استعار سترة وحذاء من ابن مالك الارض وعليه ان يعيده في الموعد المقرر. وقال الثالث انه لم يخرج الى اي مكان بدون والديه وانه كان دائماً طفلاً طيباً وينوي ان يظل كذلك، ويود ان لايسخر احد من قراره هذا، غير انه لم يكن بمنجاة من ضحكهم.

ولهذا لم يذهب الثلاثة. ومضى الاخرون. واشرقت الشمس وغردت الطيور. وتشابك الشباب بالايدي. وغنوا معها ولكن تعب اثنان من الصغار وعادا الى المدينة وجلست بنتان تصنعان الاكاليل. ولذلك لم تذهبا ايضاً. وعندما بلغ الاخرون اشجار الصفصاف حيث نصب الحلوانيان الخيمتين قالوا: ها نحن هنا وليس للجرس وجود. فهو شيء يتخيله الناس.

وفي تلك اللحظة سمعت انغامه الثرية العميقة في الغابة فقرر اربعة او

خمسة منهم ان يتوغلوا في الغابة. وكانت الاشجار الصغيرة متكاثفة، متشابكة تعيق التقدم كثيراً. اما بعض النباتات العطرية فقد نمت عاليا جداً. وقد تدلى اللبلاب والعليق في اكاليل طويلة بين شجرة واخرى، حيث تغرد البلابل وتتراقص اشعة الشمس. وكان الهدوء عذباً، ولكن لاسبيل للفتيات، فان ملابسهن تغدو مزقاً. وكانت جلاميد الصخر العظيمة تغطيها طحالب متعددة الالوان، وتجري بينها ينابيع ماء عذبة لها خرير غريب.

فقال احد الشباب وهو يستلقي مصغياً: «لا يمكن ان يكون هذا هو الجرس بلا ريب. ويجب تأمله كاملاً». فتخلف عن الاخرين الذين مضوا في سبيلهم. ووصلوا كوخاً صغيراً تتدلى فوقه اغصان شجرة تفاح برية كأنها تريد ان تنفض جميع ازهارها على السطح المغطى بالورود. وقد تجمعت الاغصان الطويلة المزهرة حول الجملون الذي علق عليه جرس صغير. ايمكن ان يكون هذا هو الجرس الذي يبحثون عنه؟ اجل، اتفق الجميع على انه الجرس المبتغى، الا واحداً، قال انه اصغر وارق من ان يسمع كل هذه المسافة الطويلة التي سمعوه منها. وان الانغام التي حركت القلوب جميعاً لتختلف تمام الاختلاف عن هذه الانغام. فاثنى الاخرون على الذي قال ذلك وهو ابن ملك: لابد ان يكون هذا الشخص اكثر الآخرين حكمة. فتركوه يمضي وحيداً، ولكن العزلة في الغابة تغلبت عليه كلما اوغل في المسير، غير انه ظل يسمع الجرس الصغير الذي ابتهج به الآخرون. وكلما هبت الريح من جهة المخيم بين حين وآخر كان يسمع نداءات في طلب الشاي، غير ان انغام الجرس العميقة كانت تعلو على ذلك كله، وهي

قادمة من الجهة اليسرى حيث موضع القلب.
وتناهى الى سمع ابن الملك حفيف بين الاشجار، ثم وقف امامه صبي صغير يلبس حذاء خشبياً وسترة صغيرة اردانها لاتبلغ الرسغين. وعرف احدهما الآخر، فقد كان هو الصبي الذي رجع ليعيد سترة ابن مالك الارض وحذاءه. وبعد ان فعل ذلك لبس ثيابه الرثة وحذاءه الخشبي، وعاد الى الغابة تجتذبه انغام الجرس العميقة.
فقال له ابن الملك: يمكننا اذن ان نذهب معاً.
ولكن الصبي الفقير ذا الحذاء الخشبي شعر بالخجل، وهو يسحب اردانه القصيرة الى الاسفل وقال انه يخشى انه لايستطيع المسير بسرعة، وانه يعتقدان الجرس يجب البحث عنه في الجهة اليمنى لانها اجمل.
فقال ابن الملك: «اذن نحن لن نلتقي ابداً». وهو يومىء برأسه الى الولد الفقير الذي تغلغل في اشد اقسام الغابة كثافة وظلاماً حيث مزقت الاشواك ملابسه الرثة وخدشت وجهه ويديه وقدميه حتى سال الدم.
وتلقى ابن الملك خدوشاً ايضاً، غير ان الشمس كانت تنير طريقه، وستتبعه لانه بارع.
قال الامير: يجب ان اجد الجرس وانا عازم على ذلك، حتى ولو ذهبت الى نهاية الدنيا.
وكشرت بعض القرود البشعة وهي جاثمة في اعلى الشجر وقالت: انرجمه؟ انضربه؟ انه ابن ملك.
غير انه واصل تغلغله واثقاً في الغابة حيث تنمو اكثر الازهار غرابة: زنابق بيض كالنجوم ووسطها احمر، سوسن ازرق شاحب، يتألق في

الشمس، اشجار تفاح تشبه ثمارها فقاعات الصابون الكبيرة، ولك ان تتخيل كيف تتلألأ تلك الاشجار في الشمس. وحولها مروج خضر جميلة تتواثب الايائل فيها تحت اشجار السنديان والزان. وتنمو الطحالب والمتسلقات في شقوق لحاء الاشجار. وثمة فسحات واسعة فيها بحيرات هادئة يسبح فيها البجع. ويرفرف باجنحته وكثيراً ماتوقف ابن الملك واصغى لانه كان يتخيل احياناً ان رنين الجرس كان يتناهى اليه من احدى تلك البحيرات. ثم يتأكد له انه غير موجود فيها، بل في اغوار الغابة.

وبدأت الشمس تميل الى الغروب، فاصطبغت الغيوم باللون الاحمر الناري. وخيم الهدوء على الغابة، فجثا ابن الملك على ركبتيه وراح يتلو تراتيل المساء، ثم قال: لن اعثر على ما ابحث عنه وقد آلت الشمس الى المغيب، واقبل الليل، وحل الظلام. ولعلي استطيع ان المح قرص الشمس الاحمر المستدير مرة اخرى قبل ان يغيب وراء الارض.

ساصعد هذه الصخور العالية كالاشجار. وتمسك بجذور النباتات والمتسلقات وتسلق الصخور الزلقة حيث تلتف افاعي الماء، ونقت الضفادع في وجهه، غير انه بلغ القمة قبل ان تختفي الشمس. فرآها من عليائه، فياللروعة التي تمتد امامه! ها هوذا البحر، البحر الواسع الجميل بامواجه الطويلة المتدحرجة نحو الساحل! وتريثت الشمس في سكون كأنها صرح منيف، مشرق، ويلتقي خارجه البحر بالسماء. وذاب كل شيء حتى غدا الواناً متوهجة. وتعالى النشيد، فقد غنت الغابة، وغنى البحر المحيط، غنى قلبه مع الجميع. وصارت الطبيعة

مثـل هيكـل قدسي كبيـر، اسـاطينـه من الاشجـار وسقـوفه من الغيوم العـائمة، ونسجت بسطهُ من الزهور والاعشاب، وباتت السماء نفسها فيـه عظيمة فوق الجميع. وتلاشى اللون الاحمر عند غياب الشمس، وتلألأت ملايين النجـوم مثـل مصـابيـح لاتحصى من المـاس فالقى ذراعيـه نحـو السماء والبحر والغابة. فاقبل في تلك اللحظة من الطريق الايمن الولد الفقير ذو الحذاء الخشبي والاردان القصيرة وقد بلغ الغاية نفسها في الوقت نفسه وبطريقه الخاص. فركض كل منها نحو الآخر. وتشـابكت الايـدي في هيكـل الطبيعة والشعر العظيم، وصدح فوقهما رنين الجرس القدسي الخفي. وطافت حولهما ارواح تملؤها البهجة والحبور.

ابنة ملك المستنقعات



تحتفـظ اللقـالق بقصص كثيـرة جداً ترويهـا الى صغـارها عن الاهوار والمستنقعـات . وهي تكيفهـا بمـا يناسب اعمارهم وقابلياتهم فالصغار منهم يقتنعون بالقصص البسيطة والكبار يرغبون في شيء ذي مغزى، او شيء عن العـائلة . فنحن نعـرف قصـة من اقـدم من اقـدم قصتين واطولهما تحفظهما اللقالق : واحدة عن موسى الذي القته امه في مياه النيل ووجدته ابنة الملك وربته فاصبح عظيماً ولكن لايعرف احد قبره الى يومنا هذا . وهذه قصة معروفة .

اما القصة الاخرى فلا يعرفها احد حتى الآن لان اللقالق احتفظت بها لنفسها. وقد تداولتها اماً عن ام اكثر من الف عام؛ حتى فاقت البنت امها في روايتها، وها نحن نرويها لكم خيراً من الجميع.

كان اول زوجين من اللقالق يرويان القصة، التي عاشا في احداثها، قد بنيا عشهما الصيفي على سطح بيت ملك قراصنة الفايكنك المصنوع من الخشب قرب مستنقع الوحوش في ڤندزيسل، في مقاطعة هيورنك في اعالي سكاوفي شمال يوتلند، اذا تحرينا الدقة في وصفها كما رواها الرواة. ومايزال هناك مستنقع كبير قد نقرأ عنه في تاريخ المقاطعة. وقد كانت المنطقة ذات يوم يغمرها البحر الذي انحسر فظهرت الارض وامتدت اميالاً، وغدت تحيطها من كل جانب مروج اهوار وسباخ ومستنقعات ينبت فوقها توت السحاب واحراش صغيرة. ويكاد الضباب الرطب يغطيها دائماً، وكانت الذئاب تغشاها قبل سبعين سنة. ويمكن ان يطلق عليها اسم مستنقع الوحوش، ويمكن للمرء ان يتخيل مدى الوحشة والكآبة بين هذه البرك والبطائح قبل الف عام.

ومايزال الوضع كما كان حينذاك، فالبردي ينمو الى الارتفاع نفسه وله اوراق ارجوانية بنية ذات اطراف ريشيه كما كان سابقاً. وماتزال اشجار البتولا تنمو بلحائها الابيض واوراقها الرقيقة الطليقة المتدلية. اما المخلوقات الحية، فما يزال الذباب يلبس ثيابه الشفافة بالتفصيلة نفسها، واللقالق، اليوم كالامس، ماتزال تلبس الاسود والابيض والجوارب الحمر الطويلة.

ولا ريب ان الناس كانوا يلبسون ثياباً يختلف تفصيلها عما يلبسون

اليوم، غير ان اي واحد منهم عبداً او صياداً او مهما كان، اذا ما وطيء السباخ فان المصير نفسه قبل الف عام يصيبه اليوم «فيدخل فيها ويغوص حتى يصل ملك المستنقعات، كما يطلقون عليه. وتحت حكمه مملكة المستنقعات والاهوار جميعاً. وقد يطلقون عليه ملك البطائح غير اننا نفضل ان نطلق عليه اسم ملك المستنقعات، كما تفعل اللقالق. ولانعرف عن حكمه الا قليلاً. قرب المستنقعات، والى جوار اللسان البحري من مضيق كاتگات المسمى لمفيورد، يقع بهو الفايكنك الخشبي، بقبوه الحجري، وبرجه وطبقاته الثلاث. وقد بنت اللقالق عشها في اعلى السطح، ورقدت الام على البيض الذي ايقنت انه سيفقس عما قريب.

وتأخر الاب قليلاً ذات مساء، ولما عاد بدا منفوش الريش وقال للام: لدي خبر رهيب اقوله لك.

فقالت له: لاتحدثنيَ به اذن. وتذكر انني احتضن البيض! فلعل ذلك يكدرني فيفسد البيض.

فقال: لابد ان تعلمي. لقد جاءت الى هنا ـ ابنة مضيفنا في مصر، مغامرةً في القيام بالرحلة. وقد اختفت الآن.

فقالت الام مستعلمة: اتلك التي تنتسب الى الجنيات. اخبرني اذن كل شيء عن ذلك فانت تعرف اني لااطيق البقاء منتظرة وانا احتضن البيض.

فقال لها: انظري الي ايتها الام! لعلها صدقت ماقال لها الطبيب، كما قلت لي. صدقت ان زهور الهور هذا تنفع اباها. فاقبلت طائرة الى هنا بجناح من الريش مع الاميرتين اللتين تأتيان الى الشمال كل سنة

للاستحمام من اجل استعادة شبابهما. جاءت، ثم اختفت.
فقالت الام! انت تبالغ في الامور. لعل البيض يبرد، ولا استطيع احتمال القلق والترقب.
فقال الاب: كنت اراقب. وعندما كنت هذا المساء بين البردي حيث لايكاد يحتملني المستنقع، رأيت ثلاث بجعات طائرات. وكان في طيرانهن شيء يقول لي: «راقبهن! فانهن بجعات غير حقيقيات. وماهذا الذي هن فيه الا ريش بجع». وانت تعلمين ايتها الام، كما اعلم، ان المرء يحس بالبديهة ان كانت الاشباء كما تبدو ام لا. فايدته قائلة: اجل، هذا صحيح، ولكن حدثني عن الاميرة. فقد ضقت ذرعاً بالاستماع عن ريش البجع.
فقال: انت تعلمين ان في وسط السباخ مايشبه البحيرة، بوسعك ان تري جزءاً منها من هنا اذا مارفعت رأسك. وفيها جذع شجرة كبير مقطوع بين الاحراش والمستنقع، حطت عليه البجعات الثلاث وهن يرفرفن باجنحتهن ويتلفتن حولهن. ثم خلعت احداهن ريش البجع. فعرفتها في الحال اميرتنا من مصر. وجلست لايسترها سوى شعرها الاسود الطويل، وسمعتها نلتمس البجعتين ان يتولين رعاية ريش البجع، حتى تغوص تحت الماء لتقطف زهرة الهور التي ظنت انها يمكن ان تراها. فاومأت البجعتان ورفعتا رأسيهما، وحملتا الريش.
ففكرت في نفسي: ماذا تفعلان به؟ ولا ريب انها سألت الشيء نفسه فجاء الجواب: وقد رأيت رأي العين. ثم حلقتا في الجو بثوب الريش! وصاحتا: «اغطسي الى الاعماق. ولن تطيري بعد هذا في هيئة البجع. ولن تري ارض مصر ابداً. فلك ان تمكثي في مستنقعك!»

ثم مزقتا ثوب الريش مئة قطعة، ونثرتا الريش في جميع ارجاء المكان مثل عاصفة من ثلج . ثم طارت الاميرتان الحقيرتان .

فقالت اللقلقة الام : ما افظع هذا الشيء ! ولكن اليّ بخاتمتها .

فواصل قوله : انّت الاميرة وبكت وسالت دموعها على جذع الشجرة التي بدأت تتحرك . فقد كان الجذع هو ملك المستنقعات الذي يعيش في السباخ . وقد رأيت الجذع ينقلب ولم يعد جذعاً مقطوعاً . فقد مد اغصاناً طويلة قذرة كالاذرع . وارتعبت الصبية المسكينة . ووثبت عنه فوق ماء المستنقع الذي لايتحمل حتى ثقلي، فكيف يتحملها . وغاصت على الفور وغاص الجذع وراءها وراح يدفعها الى الاسفل . وارتفعت فقاعات سود كبيرة في الوحل الآسن، ولم يُرَ شيء بعد ذلك لقد طمرت في المستنقع الوحشي، ولن تعود الى مصر بالزهور التي اتت من اجلها . ليس بوسعك، ايتها الام، تحمل ذلك المنظر.

فقالت : كان عليك الاتخبرني بشيء من هذا القبيل، فلعله يؤثر في البيض تأثير سيئاً .

وعلى الاميرة ان تهتم بنفسها ! وسوف تنال العون بطريقة من الطرق . ولو حدث هذا الشيء لك اولي او اي واحد من صنفنا، لانتهى امرنا فقال اللقلق : «ساراقب كل يوم» ووفى بعهده . ومضى وقت طويل ثم رأى ذات يوم ساقاً اخضر يخرج من الاعماق التي لايسبر غورها . وعندما بلغ وجه الماء ظهرت ورقة في الاعلى راحت تتسع وتتسع ثم ظهر برعم بقربها . وفي فجر احد الايام خرج اللقلق ومر بالمكان، فتفتح البرعم في اشعة الشمس الدافئة . وكان في وسطها تستلقي طفلة جميلة يانعة كانها خرجت تواً من الحمام، تشبه اميرة مصر تمام الشبه،

حتى ظن اللقلق ان الاميـرة قد اصبحت صغيـرة . ولكنه بعد ان حسب حسـابـه استنتـج انها ابنتها وابنة ملك المستنقعات وهذا يفسر لنا سبب ظهورها في زنبقة الماء .

وفكـر اللقلق في نفسـه : لايسعها ان تمكث هنا طويلاً . وعشنا مزدحم بنـا ، ولكن فكـرة خطرت ببالي . زوجة الفايكنك لاطفل لها . وكثيراً ما تمنت ان يكون لها طفل . وكما يقال عني دائماً انني اجلب الاطفال ، سافعـل ذلـك فعلاً هذه المرة . سوف اطير بالطفلة الى زوجة الفايكنك وسوف يفرحها ذلك . .

فاخـذ اللقلق الصغيـرة وطار بها الى البيت الخشبي وثقب الجلد الذي يغطي الشبـاك بمنقـاره ووضـع الطفلة في ذراعي زوجـة ملك قراصنـة الفايكنك . ثم طار الى بيته واخبر زوجته بكل شيء ، وسمع الصغار ما قال . وقد صاروا كباراً يفهمون .

قال اللقلق الاب : وهكذا ترين ان الاميرة لم تمت . فلابد انها ارسلت طفلتها الى الاعلى فوجدت لها بيتاً .

فقالت الام : قلت ذلك منذ البداية . والآن انتبه قليلاً الى صغارك ! فقد كاد الوقت يحين لنبدأ رحلتنا . واني احس بوخز خفيف في جناحي بين حين وآخـر . فقـد هاجـر الـوقـواق والبلبل قبل قليل . وسمعت السلوى تقول ان الريح ستكون مواتية لنا . وستكتسب صغارنا الثقة بنفسها وهي تتعلم الطيران كما اعرفها جيداً .

وما كان اشد سرور زوجة الفايكنك عند استيقظت في الصباح ووجدت الطفلة على صدرهـا فقبلتهـا وداعبتهـا ، ولكن الصغيـرة راحت تصرخ وتـرفس بقـوة دليلاً على عدم الراحة . وظلت تبكي حتى نامت . وليس

ثمـة شيء اجمـل منها وهي راقـدة. وقـد اغتبطت الـزوجة بها وملأت البهجة روحها وجسمها. وايقنت ان زوجها وجميع رجاله سيعودون بغتة وبشكـل غيـر متوقع، كما جاءت الطفلة. فانشغلت واهل بيتها بترتيب البيت من اجل عودتهم. وعلقت السجف الطويلة الملونة التي نسجتها هي ووصيفـاتهـا مزدانة بصور اودين وثور وفريا المبجلين. وراح الخدم يجلون ويصقلون التـروس المعلقـة على الجدران. ووضعت الوسائد على الارائـك، والقيت قطـع من الاخشاب في المدفأة التي في وسط البهو لكي تشتعل النار في الحال. وساعدت ربة البيت بنفسها في كل شيء. فلما اقبل المساء بلغ بها الاعياء مبلغاً شديداً فنامت نوماً عميقاً.

وعنـدمـا استيقظت عنـد الصبـاح اصـابها الهلع لما وجدت ان الطفلة الصغيـرة قد اختفت، فوثبت واشعلت رقاقة من صنوبر ونظرت حولها، فلم تجـد الطفلة، ولكنهـا وجـدت ضفـدعـاً بشعـاً يجلس عند اسفل السـريـر. فارتـاعت للمنظـر وامسكت عصـا غليظة لتقتله، غير انه نظر اليهـا بعينين حزينتين، فلم يطـاوعهـا قلبهـا في ضربه. ثم عادت الى البحث مرة اخـرى، فاطلق الضفـدع نقيقـاً واهناً يثير الشفقة فجفلت. ووثبت من فراشها وفتحت النافذة على مصراعيها. وكانت الشمس قد اشـرقت ثواً فارسلت اشعتهـا فوق السـرير وعلى الضفدع الكبير. فبدا الحيـوان البشـع بفمـه الـواسـع ينكمش ويغدو صغيراً وردياً وانبسطت الاطـراف واستعـادت شكلهـا الجميـل، وكانت ابنتها الصغيرة العزيزة تستلقي هناك وليس ذلك الضفدع البشع.

وصـاحـت: مهمـا كان الامر، فاني حلمت حلماً مزعجاً. وهذه طفلتي

الحبيبـة الفـاتنة. وقبلتها وضمتها الى صدرها، ولكنها قاومت وعضتها كقطيطة متوحشة.

ولم يعـد في ذلـك اليـوم ولا اليـوم الـذي بعـده سيد قراصنة الفايكنك بالـرغم من انـه كان في طريقـه الى البيت، غير ان الريح كانت ضده، فقـد كانت تهب نحـو الجنـوب لتسـاعـد اللقالق. «الريح التي لاتنفع احـداً ريـح غيـر طيبـة». وفي خلال ايـام وليـال قليلة اتضـح لزوجـة الفايكنك كيف جرت الامور مع طفلتها الصغيرة. فقد كانت في قبضة قوة سحـريـة رهيبـة. فتكـون في النهـار جميلة جمـال الحورية ولكنها تتمتـع بمـزاج شرير. اما في الليل فانها تتحول ضفدعاً بشعاً هادئاً يثير الشفقـة، بعينين حزينتين باكيتين. فيهـا طبيعتان، في الروح والبدن، تتغيـران باستمـرار. وسبب ذلك ان الطفلة التي جلبها اللقلق تتخذ في النهـار صورة امهـا وطبيعـة ابيهـا الشريرة، اما في الليل فان قرابته منها تظهر في شكلها الخارجي، وتشع طبيعة امها الطيبة وروحها الرقيقة من هيئته الحيوانية المشوهة.

فمن يستطيـع ان يخلصهـا من هذه القـوة السحـرية؟ وقد اصابها ذلك بالحزن والقلق، على ان قلبها كان يشفق على هذه المخلوقة البائسة. وكانت تعرف انها لن تجرؤ على اخبار زوجها بحقيقة الامور، لانه دون ادنى ريب ووفق التقـاليد سيجعل الطفلة المسكينة تعرض في الطريق العـام لكـل من يختار العناية بها. ولم تكن المرأة الطيبة تمتلك القلب للقيام بذلك، فقررت ان يرى الطفلة في وضح النهار فقط.

وفي صبـاح احـد الايام تناهى حفيف اجنحة لقالق فوق السطح. وفي اثناء الليل اتخذ اكثر من مئتي زوج من اللقالق من السطح مستقر راحة

لهـا بعـد المنـاورات العظيمـة وها هي الآن تجرب اجنحتها قبل القيام بهجرتها الطويلة نحو الجنوب .

وصاحت اللقالق : كل الازواج متأهبون! وجميع الزوجات والاطفال ايضاً .

فهتفت اللقـالق الفتيـة : ما اخفنـا! نشعـر وخـزاً خفيفـاً في ارجلنا كأننا امتلأنا بالضفادع الحية . ما اروع الرحيل الى البلدان الاجنبية! .

فقال الاب والام : ابقوا في صف واحد ولاتدعوا مناقيركم تلقلق بسرعة لان ذلك لاينفع الصدر . ثم طارت مهاجرةً .

وفي اللحظـة عينهـا دوّى بوق في ارجاء المرج فقد هبط رئيس قراصنة الفـايكنـك ورجـاله الى اليابسة ، وهم يحملون مالايحصى من الغنائم النفيسـة من سواحـل الغاليين (الفرنسيين) والبريطانيين حيث استغاث الناس صارخين : انقذونا من ابناء الشمال المتوحشين :

اية حياة واي صخب اقبلا على بيت الفايكنك لدى مستنقع الوحوش! وجلب زق الشراب الى البهو ، واضرمت النار الكبرى ، ونحرت الخيول للمأدبـة التي ستكـون صاخبة . ورش الكاهن دم الخيل الساخن على العبيد تقديساً لهم . وكان للنار حسيس ثم معمعة ، وارتفع الدخان الى السقف وتقطـر السُخـام من اخشـاب السقف ، غير انهم كانوا معتادين على ذلـك كله . ودعي الضيـوف فتلقـوا هدايا سنية . ونسيت الضغائن والنفـاق . واسـرفوا في الشرب وتقاذفوا بالعظام في وجوه بعضهم بعضاً بعـد ان اكلوا ماعليهـا ، ولكن ذلك دليل على الشعور الطيب . والشاعر المؤرخ والمحـارب ايضـا ، لانـه يصحبهم في حمـلاتهم ، ويعـرف ماينشـد ، القى عليهم احـدى قصـائـده القصصيـة يعدد فيها بسالتهم



ومآثرهم الحربية وبعد كل مقطع تأتي اللازمة نفسها:

«الثروة تزول والصديق يهلك والمرء نفسه يموت ولايبقى الا ايذكر الطيب!»

ثم راحوا يضربون بعنف على تروسهم ويطرقون بسكاكينهم او براجمهم (اي مفاصل اصابعهم) على المنضدة التي امامهم حتى دوى البهو. وجلست زوجة الفايكنك على الاريكة المستقلة في بهو المأدبة. كانت في ثياب من حرير واسورة من ذهب وعقد خرز الكهرمان الكبيرة. وذكر الشاعر اسمها ايضاً في اغنيته. وتكلم على الكنز الذهبي الذي جاءت به الى زوجهاالثري وعلى بهجته بالطفلة الجميلة التي رآها في ضوء النهار فاعجب بطبعها الغاضب. وقال انها ستصبح فتاة تُرس باسلة تخوض بنفسها غمار المعركة. ولن تطرف لها عين اذا ماحاول متمرس قطع حاجبيها بالسيف.

ونفذ دن الخمرة وجيء بدنٍ جديد في محله مالبث ايضاً ان استنزف حتى الثفالة. فقد كان الشاربون رجالاً اشداء لايرتدون من شيء. وكانوا يرددون في مثل هذه المناسبة مثلاً: تعرف البهيمة متى تعود من المرعى، غير ان الاحمق لايعرف متى يشبع كانوا يعرفون المثل جيداً، غير ان الناس في الغالب يعرفون شيئاً ولكنهم يعملون شيئاً آخر. وكانوا يعرفون ايضاً ان «الصديق يصبح مصدر ضيق اذا طال مكثه في بيت صديقه!» ولكنهم اطالوا الجلوس فالاكل والشرب من اطايب الحياة! وكانت رفقة مرحة. ونام العبيد في الليل بين الرماد الدافىء بعد ان غمسوا اصابعهم في الدهن الملوث بالسخام ولعقوها. فقد كانت من المناسبات النادرة حقاً وخرج الفايكنك مرة اخرى في تلك السنة في غارة بالرغم من بوادر رياح

الخريف. فابحر مع رجاله الى ساحل بريطانيا. وبقيت زوجته في البيت مع صغيرتها. وما لبثت هذه الام المرضعة ان غدت اكثر ولعاً بالضفدعة المسكينة الحزينة العينين الكئيبة الزفرات من البنت الجميلة التي تعض وتجرح.

ورقد ضباب الخريف الرطب القارس فوق الغابة والمرج مثل «دودة قارضة» تقرض اوراق الشجر. وهجع فوق الضباب «ريش الطائر الطليق» كما يطلق على الثلج. وكان الشتاء ماضياً في سبيله، فجعلت العصافير عش اللقلق في حمايتها وناقشت غياب مالكيه بطريقتها الخاصة. اين صار اللقلقان وصغارهما الآن؟

هما الآن في ارض مصر تحت شمس يوم دافيء من ايامنا في الصيف، تحيط بهم اشجار الطلح والتمر الهندي المزهرة ويتألق الهلال فوق المنائر وقباب المساجد. وقد خطت ازواج كثيرة من اللقالق على الابراج الرشيقة لترتاح بعد رحلتها الطويلة. واتخذت اسراب كاملة منها اعشاشها جنباً الى جنب على اعمدة جبارة، او اطواق معابد خربة مهجورة. وشمخت اشجار النخيل بسعفها عالياً كأنها تصنع مظلات اتقاء الشمس. وانتصبت الاهرام البيض الضاربة الى اللون البني في سماء الصحراء الصافية حيث تجد النعامة متسعاً من المجال في جريها. وربض الاسد محملقاً بعينيه العظميتين الحكيمتين في ابي الهول المرمري الذي دفنته الرمال حتى منتصفه. وانحسرت مياه النيل وعجت الأرض بالضفادع. وكان ذلك ابدع منظر في الارض كلها بالنسبة الى اللقالق، وقد خلب انظار اللقالق الفتية.

فقالت الام: «انظروا الى مانحن فيه ها هنا، وسنجد الامر كذلك في

كل انحاء بلدنا الدافيء»

واحس الصغار بشيء يدغدغهم في معداتهم. وسألوها: وهل نرى شيئاً غير هذا؟ وهل نتوغل داخل البلاد؟ فاجابت الام: «لاشيء اكثر من هذا. ففي الجانب الخصب من البلاد لاتوجد سوى غابات منعزلة تتشابك في اشجارها النباتات المتسلقة. ولايستطيع احد من المخلوقات ان يشق طريقه خلاله سوى الفيل بسيقانه القوية الضخمة. اما الافاعي فهي اكبر مما نستطيع صيدها، والسحالي اكثر فطنة. واذا ما رغبتم في الخروج الى الصحراء فان الرمال ملأت عيونكم، اذا كان الجو حسناً، اما اذا كان رديئاً، فلربما دفنتم في عاصفة رملية. كلا، خير لنا ان نبقى ها هنا، حيث وفرة من الضفادع والجراد. فسامكث هنا وستمكثون انتم ايضا».

فمكثت ومكث الصغار في اعشاشهم على المنائر الرشيقة يريحون انفسهم، منشغلين بتصفيف ريشهم ويحكون مناقيرهم بجواربهم الحمر، او يرفعون رقابهم الطويلة ويحنون رؤوسهم بوقار واعينهم البنية تلتمع بالحكمة وكانت الفتيات من اللقالق تتمشى بوقار بين نباتات البر الطرية، ترمق الفتيان من اللقالق بنظرات اعجاب او تتعرف عليهم. ويبتلعن ضفدعاً كل ثلاث خطوات او يتمشين وافعى صغيرة تتدلى من مناقيرهن انها لمأثرة عظيمة وطعم طيب.

وينهمك الفتيان من اللقالق في خصومات طفيفة كثيرة تخفق فيها اجنحتهم خفقاناً غاضباً ويطعن بعضهم بعضاً بالمناقير حتى تسيل الدماء، ثم يتخذون لهم ازواجاً ويبنون اعشاشهم، وهذا ما يعيشون من اجله، وسرعان ماتنشب خصومات جديدة، فتراهم مشبوبي العاطفة

مثل بلادهم الحارة، ولكنه على اية حال، امر يبعث السرور في نفوس الكبار، فليس في ما يفعل صغارهم ما يدل على خطأ.

وكانت الشمس تشرق كل يوم والطعام وافر، ولا يشغل بالهم غير البهجة والسرور!

ولكن الامور في القصر العظيم في مصر لم تكن تجري على مايرام. فقد استلقى السيد الثري الجبار على اريكته وقد تيبست اوصاله كأنه مومياء. وكان البهو العظيم المصبوغ يبدو كأنه زنبقة يستلقي فيها هذا الرجل الذي لم يكن ميتاً ولايمكن ان يدعى حياً. وان الزهرة الشافية التي تنمو في ارض الشمال والتي ذهب في البحث عنها وقطفها اعز من يحبه لن يستطيع جلبها. لأن ابنته الفتية الحسناء التي ارتدت ثوب ريش البجع وطارت فوق البراري والبحار لن تعود ابداً، بينما رجعت الاميرتان البجعتان. واليكم الحكاية التي روتاها: كنا جميعاً محلقات عالياً في الجو فرآنا صياد واطلق سهمه نحونا فاصاب اختنا في قلبها فهوت ببطء وراحت تنشد اغنية الوداع وسقطت في بركة وسط احدى الغابات. دفناها هناك على الشاطيء تحت شجرة بتولا متدلية الاغصان. غير اننا اخذنا بثأرنا: فقد ربطنا النار تحت جناحي سنونو اتخذ عشه في سقيفة كوخه. فاشتعل السقف واضطرم الكوخ واشرقت السنة اللهيب على البركة التي رقدت الى جوارها تحت شجرة البتولا. ولن تعود الى ارض مصر ابداً.

وانخرطت الاثنتان تبكيان ولما سمع اللقلق الاب ذلك طقطق بمنقاره وقال: كاذبتان! ليتني اخرق صدريهما بمنقاري فقالت الام: حيث سينكسر وتكون اضحوكة للناظرين: فكر بنفسك اولاً ثم عائلتك، وكل

ماعدا ذلك ثانياً.

فقـال: سوف احط غداً على القبة المفتوحة حيث يجتمع عقلاء القوم وعلماؤهم للحديث عن الرجل المريض. ولعلهم يقتربون قليلاً من الحقيقة.

واجتمع الحكماء وتحدثوا طويلاً بشيء كثير من العلم، غير ان اللقلق لم يفقـه شيئاً مما كان يدور بينهم. ولم يخرجوا بشيء عن الرجل او ابنته الغريقة في مستنقع الوحوش، ولعلنا نسمع ماتحدثوا به، ولعلنا نفهم القصة افضل من اللقلق:

«الحب غذاء الحياة. وكلما سما الحب بغذائه، ارتقت الحياة. ولايمكن ان تكسب الحياة الا بالحب.

فصرح الحكماء ان هذا نعم القول.

فقال اللقلق الاب في الحال: انها لفكرة رائعة.

فقـالت الام: ولكنني لاافهمها فهماً حقاً، على انها ليست خطئي بل خطأ الفكرة نفسها. وهي لاتهمني حقاً، على اية حال، فلدي اشياء اخرى تشغل بالي.

ثم اطنب الحكماء في الحديث عن الحب: وعن الفرق بين حب العاشقين وحب الـوالـدين ابنـاءهم؛ وحب النبـاتات للضوء وكيف تقبّل اشعة الشمس مياه المستنقـع فتخرج نباتات يانعة للوجود. كان الحديث في صميم العلم فلم يستطع اللقلق ان يستوعب منه شيئاً، او حتى يعيده فراح يقف متأملاً على ساق واحدة طوال نهاره وعيناه نصف مغمضتين. فقد كان العلم عبئاً ثقيلاً عليه.

ولكن اللقلق فهم شيئاً واحد فهماً جيداً. فقد سمع من الرفيع والوضيع

على حد سواء انها كارثة على الوف الناس وعلى البلد جمعاء ان يظل هذا الـرجـل طريح المرض لارجاء من شفائه. وسيكون يوماً مباركاً عندما يسترد عافيته وتساءلوا: ولكن اين تتفتح الزهرة التي تشفيه؟ واستشاروا جميع كتبهم العلمية والنجـوم المتـلألئة والرياح وامواج البحر. ولكن الجـواب الوحيد الذي توصل اليه الحكماء هو: «الحب غذاء الحياة!» ولكنهم لاعلم لهم بكيفية وضـع ذلك القول موضع التطبيق. واتفقوا اخيراً على ان العون لابد ان يأتيهم من الاميرة نفسها التي تحب اباها من صميم قلبها وروحها. فقرروا، يجب ان تفعله الاميرة. لقد مضى اكثر من سنة ويوم واحد منذ ان ارسلوها ليلاً عندما بزغ الهلال الجديد في صحراء ابي الهول. وكان عليها ان تحثو التراب عن الباب التي عند قاعدته وتسير في الممر الطويل المؤدي الى وسط الهرم حيث ترقد مومياء اعظم الملوك الجبارين ملفوفة بالاربطة في غمرة ثرائه ومجده فكان عليها ان تحني رأسها للجثمان، فكشف السر لها اين تجد العلاج الذي فيه شفاء لابيها.

فعلت ذلك كله، وظهر لها في احلامها المكان المضبوط في اعماق المستنقع حيث ستجد زهرة اللوتس التي ستلامس صدرها تحت المياه. وعليها ان تجلب تلك الـزهـرة الى بلادها فطارت بملابس ريش البجع الى مستنقع الوحوش في اقصى الشمال.

وقـد عرف اللقلق الاب والام ذلـك منذ البداية، وفهمنا نحن الامر افضـل من ذي قبـل. وعـرفنـا ان ملك المستنقـع قد سحبها اليه في الاعماق. وقد اعتبرها اهلها في عداد الاموات الذين لاعودة لهم. وقال احكمهم كما قالت الام: «سـوف تهتم بامـر نفسهـا!» وهكـذا راحوا

ينتظرون عودتها ولايعرفون في الحقيقة ماذا يفعلون غير ذلك.

وقال اللقلق الاب: اظن اني ساخطف ثوب البجع من الاميرتين المخاتلتين، فلن تستطيعا بعد ذلك الذهاب الى مستنقع الوحوش وتوقعا مزيداً من الاذى. وسوف احتفظ بثياب الريش هناك حتى نجد نفعاً لهما. فسألت الام! اين تحتفظ بهما؟

فأجابها: في عشنا قرب مستنقع الوحوش، وسوف نتعاون انا والصغار في حملهما. واذا كانا ثقيلين فسنجد اماكن في الطريق يمكننا ان تخفيهما فيها حتى يحين موسم هجرتنا التالية وسيكفيهما ثوب واحد، ولكن الاثنين افضل. ومن الخير ان تجد دثاراً كافياً في ارض الشمال فقالت الام: لن تنال الثناء على ذلك. ولكنك السيد العارف. ولن اقول شيئاً الا اذا حضنت البيض.

وفي غضون ذلك الوقت كانت الطفلة الصغيرة في قصر الفايكنك على مشارف مستنقع الوحوش، حيث تأتي اللقالق في الربيع، قد اعطيت رسم هيلكا، ولكن هذا الاسم كان ارق من ان يطلق على روح متوحشة كالتي تسكن داخلها. وكان الامر يظهر بوضوح شهراً بعد شهر. وكبرت البنت سنة بعد اخرى في الوقت الذي كانت اللقالق تسلك سبيل هجرتها نفسه نحو النيل في الخريف، ونحو مستنقع الوجوش في الربيع. وغدت البنت اجمل فتاة في السادسة عشرة. كان الظاهر جميلاً ولكن الباطن كان قاسياً صلباً ـ واكثر وحشية من الجميع حتى في تلك الازمنة الوحشية العصيبة.

وكانت بهجتها العظمى ان تضمخ يديها البيضاوين في دماء الخيول التي تنحر للقرابين. وكانت في نزواتها الوحشية تقضم رؤوس الديكة السود

التي ينوي الكاهن ان يذبحها، وكانت تقول لابيها بمنتهى الجد: لو جاء عدوك والقى حباله حول بيتك ليهدمه، فلن اوقظك اذا استطعت ذلك. فاني لن اسمعه بسبب دوي الدماء في اذني التي لكمتها ذات مرة قبل سنين واني لن انسى ذلك!

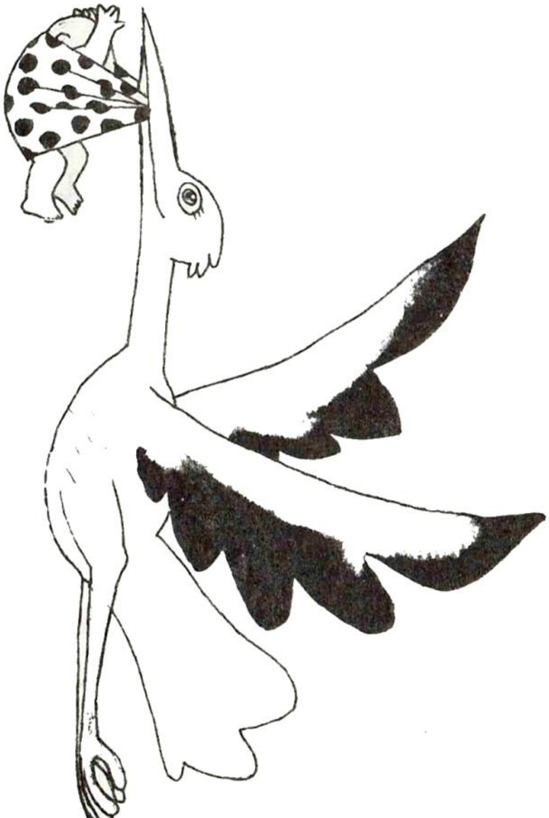
غير ان الفايكنك لم يصدق ما قالت. فقد فتن بجمالها كما فتن الجميع، ولم يكن يعرف كيف كان الجسد والروح يتبادلان المواقع في هيلكا الصغيرة في ساعات الليل الحالكة. وكانت تركب الجواد غير مسرج ولاتنزل عنه وهو يعض الخيول المتوحشة الاخرى ويقاتلها. وكثيراً ما كانت تلقى نفسها من جرف حالق الى البحر بكامل ملابسها، وتخرج سابحة لاستقبال القرصان لدى اقتراب سفينة من الساحل. وكانت تقطع اطول جدائل شعرها الطويل وتراً لقوسها، وتقول: خير الاشياء ما تصنعه بنفسك. وكانت زوجة القرصان، على الرغم من حصافة عقلها وقوة ارادتها كما جرت العادة في ذلك الزمان، قد اصبحت مثل اية ام ضعيفة قلقة على ابنتها، لانها تعرف ان السحر يسيطر على الطفلة الرهيبة. فكلما خرجت الام الى الشرفة كانت هيلكا، لكي تعذب امها على مايبدو، تجلس على حافة البئر وترفع يديهاور جليها وتلقي بنفسها فجأة في غيابة البئر الضيقة. ثم تتسلق بمعونة طبيعتها الضفدعية وتخرج مثل قطة تقطر ماء كساقية الى بهو المآدب وهي تكف عن طريقها اغصاناً خضراً نثرت على الارض.

وكان لايكبح جماح هيلكا الصغيرة دائماً إلا شيء واحد الا وهو الشفق. فعند اقتراب حُمرة الاصيل، تهدأ ويغلب عليها التأمل، فتتقبل النداء والتوجيه. ويجذبها احساس داخلي نحو امها، واذا ماغربت الشمس

وتم التحـول، قبعت هادئـة حزينـة منكمشـة في هيئة ضفدع. وغدا جسمها الآن اكبر من الضفادع ولذا كانت اشد قبحاً وبشاعة. فبدت مثل قزم بائس له رأس ضفدع واصابع صفاقية، في عينيها مايبعث على الـرثـاء، ولاتمتلك صوتـاً سوى نقيق اجوف اشبه بعبرات طفل حالم مكبـوتة، فتأخذها زوجة الفايكنك في حضنها وتنظر في عينيها فتنسى شكلها المشوه وتقول: «ليتك تبقين دائماً ضفدعتي البكماء، فانت ابغض لدى في ثياب الجمال.» ثم تكتب رقى ضد المرض والسحر وتلقيها على البنت البائسة، ولكنها لم تنفع قط.

وقال اللقلق الاب: لن يصدق المرء انها كانت صغيرة جداً فترقد في زنبقة الماء، اما الآن فانها كبرت وغدت في صورة امها المصرية، التي لم نرها بعد ذلك. ولم يكن بوسعها ان تهتم بنفسها كما تفعلين وقال الحكماء انها ستفعل ذلك. لقد كنت اطير فوق المستنقع في الغدو والآصال سنة بعد أخرى ولم ار اثراً لها. واقول لك انني طوال هذه السنوات عندما كنت اطـير قبلك لاعنى بالعش وارتبه، فانني كنت امضي ليالي كثيرة طائراً كالبومة او الخفاش افحص وجه الماء ولكن دون جدوى، ولن ننتفع بثوبي البجع من الريش اللذين عانينا انا والصغار في نقلها الى هنا، اذ استغرق الامر بنا ثلاث رحلات لايصالهما الى هذا المكان. وقد بقيا ملقيين في قعر العش كل هذه السنوات، واذا ماحلت كارثة كالنار في البيت الخشبي، فانهما سيضيعان.

فقالت الام: وسيضيع عشنا الجميل ايضاً، واني اراك تولينا من تفكيرك اقل مما تولي ثياب الريش واميرتك هذه التي في المستنقعات. خير لك ان تمضي اليهـا يومـاً وتمكث في المستنقـع الى الابـد. لست ابـاً صالحاً



لصغارك، وكثيراً ما رددت انا ذلك منذ اول مرة يفقس لي بيض. ألا ليتنا وصغارنا لانصاب في اجنحتنا بسهم من ابنة القراصنة المجنونة! فهي لاتعلم ماذا تفعل. ونحن نشعر بحريتنا ها هنا اكثر منها، ولابد لها ان تعرف ذلك. فنحن لاننسى التزامنا بما علينا من دين، فتؤدي ضريبتنا من ريش او بيض او صغار كل عام اتظنين انني ارغب في النزول اليها اذا ما جاءت كما كنت افعل سابقاً، وكما افعل في مصر حيث «يرحب الجميع بلقاء الصديق»، وحيث انظر في قدورهم واباريقهم اذا اردت ذلك؟ كلا، فاني اجلس ها هنا افكر حائراً في امر هذه المشاكسة وفي امرِكَ ايضـاً. كان عليك ان تتركها في زنبقة الماء، وعند ذلك ستحل نهايتها. فقال اللقلق الاب: انت جديرة بالاجلال اكثر من كلامك. فاني اعرفك افضل مما تعرفين نفسك، ياعزيزتي.

ثم وثب وخفق بجناحيه ثلاثَ مرات، ومد عنقه مختالاً، وحلق دونما تحريك جناحيه المبسوطين. ولما ابتعد قليلاً ضرب بجناحيه بقوة ومد رأسه وعنقه تياهاً وريشه يلتمع في ضوء الشمس. فما اقوى طيرانه وما اسرعه! فقالت اللقلقة الام: مايزال اكثرهم وسامة، غير اني لااقول له ذلـك وعـاد الفـايكنك مبكراً الى وطنه في ذلك الخريف يحمل غنائم واسرى وكان بينهم شاب تقي يمقت آلهة الوثنيين أهل الشمال.

وسجن الشاب في قبو حجري عميق تحت البيت الخشبي. وكبلت يداه ورجلاه. ولكن زوجة الفايكنك رثت لحالة، اما هيلكا فقد اقترحت ان تقطع اوتار باطن ركبتيه ويربط الى ذيول ثيران وحشية. وقالت: عند ذلك ساطلق الكلاب عليه، وهم يعجلون به الى المستنقعات والبطائح. وسيكون النظر بهيجاً، ولكن اقتفاء اثره سيكون اكثر بهجة.

ولكن سيد القراصنة لم يكن يريد تلك الميتة له، بل كان يريد ان يقدمه قرباناً في الصباح على حجر الدم في الغياض (البساتين) بتهمة انكار الهتهم وتسفيهها. وسيكون اول انسان يقدم قرباناً هناك. ورجتهم هيلكا ان تنثر دمه على اوثان آلهتهم وعلى الناس وشحذت سكينها، وعندما وثب عليها احد الكلاب الضخمة الضارية التي يعج بها المكان، طعنته في جانبه قائلة: لكي اختبرها فقط!

ونظرت زوجة ملك قراصنة الفايكنك بحزن الى هذه الفتاة المتوحشة المطبوعة على الشر، وعندما اقبل المساء وتبادل جمال بدن الفتاة وروحها الاماكن تكلمت بحنان ينم عن اسى نابع من قلب حزين. ووقف الضفدع القبيح بجسمه البشع يرمقها بعينيه البنيتين الحزينتين وهو يستمع ويبدو انه يفهم كما يفهم الانسان.

فقالت الزوجة: لم تنبس يوماً شفتاي بما اعانيه من همّ عظيم بكلمة واحدة الى زوجي. قلبي مفعم بالحزن عليك. وحب الام عظيم، لكن الحب لم يدخل قلبك قط. فقد غدا مثل قطعة من الطين البارد. فمن اين جئت الى بيتي؟

فارتعشت المخلوقة البشعة كأن الكلمات مست وتراً خفياً. بين الروح والبدن وترقرقت دموع كبيرة في عينيها.

قالت زوجة سيد القراصنة (الفايكنك): سيحل بك زمن مر وسيكون زمناً رهيباً بالنسبة اليّ ايضاً! ليته كان لو انك عرضت في الطريق العام يوم كنت طفلة وهدهدك البرد حتى تنامين نومة البرد!

وذرفت زوجة الفايكنك دموعاً مرة ومضت غاضبة حزينة وهي تمر تحت ستارة الجلود المعلقة من اخشاب السقف وتقسم البهو قسمين.

وقبعت الضفدعة المنكمشة في الزاوية، وحل صمت مطبق وكانت تند منها بين حين وآخر تنهدة مكتومة، كأن شيئاً يعود الى الحياة مصحوباً بكرب شديد في صميم قلبها. فتقدمت خطوة واصغت، ثم تقدمت مرة اخرى، ومسكت رتاج الباب الثقيل بيديها غير الرشيقين. وسحبته بلطف الى الخلف ورفعت المزلاج بهدوء. وحملت المصباح الموضوع في حجرة الانتظار. وشعرتْ كأن قوة خارقة تهبها القدرة على سحب لسان المزلاج الحديدي من باب القبو وانسابت الى السجين. الفتهِ نائماً، فلمسته بيدها الباردة الندية، وعندما استيقظ ورأى المخلوق البشع، ارتعد كمن رأى شبح الشيطان. فاستلت خنجرها وقطعت قيوده إرباً واشارت له ان يتبعها. فسمى بالله. ولما لم يتغير الشكل، ردد قوله: ولاتيأسوا من رحمة الله. ثم سأل: من أنت ياهذا الذي في هيئة حيوان وتقدم باعمال الرحمة عن طيب خاطر؟

فاشارت الضفدعة له وقادته وراء الستائر الواقية وسارا في ممر طويل الى الاصطبل. واشارت الى حصان وثب عليه ثم وثبت بعده وجلست امامه وهي تمسك بعرف الحصان. وفهم الاسير قصرها وانطلقا بسرعة فائقة في درب الى المرج ما كان ليعرفه لولاها. ونسي شكلها البشع وهو يعلم ان رحمة الله تعمر النفوس. وابتهل الى الله ورفع الدعاء اليه مما جعلها ترتعش. وهي لاتعلم ان كان ذلك بسبب ابتهاله ودعائه ام بسبب الهواء البارد في الفجر المقبل؟ فماذا كانت مشاعرها؟ رفعت نفسها وارادت ان تقف وتنزل عن الحصان، غير ان الشاب التقي مسكها بقوة وراح يرفع الدعاء الى الله كأنه في ذلك يستطيع ان يحل عقدة السحر التي تقيدها.

وانطلق الجواد اسرع من ذي قبل. واصبحت السماء حمراء وخرقت

الغيوم اوائل اشعة الشمس. ولما مسها النور حصل التحول فيها، فعادت مرة اخرى غادة حسناء ولكن روح الشر مازالت تتلبسها فالفى الشاب التقي نفسه يطوق بذراعيه فتاة ناضرة فارتاع مما رأى. واوقف الحصان ونزل، وحسب انه اما خدعة جديدة من اضاليل الشيطان، ولكن هيلكا الشابة وثبت الى الارض ايضاً. ولم يكن رداء الطفل القصير يبلغ إلا ركبتيها. وامتشقت خنجرها الحاد من حزامها وهجمت على الرجل المروع.

وصاحت: سادركك واصل اليك واطعنك بخنجري! ايها العبد الامرد الشاحب شحوب الموتى!

واطبقت عليه وتصارع الاثنان، غير ان قدرة خفية زادت قوته، فمسكها مسكاً شديداً. وبدت شجرة السنديان العتيقة التي كانا تحتها قد امدته بالعون، فقد غدت جذورها الناتئة فوق الارض عثرة لها. وفار ينبوع قريباً اليه، فرشّها بالماء وامر الروح الشريرة ان تغادرها، ولكن هذا الماء لاقوة له ان لم يكن نبع الايمان جارياً من داخل الانسان.

وحتى في هذا المجال وقف شيء في نفسه اعظم من قوة الانسان في وجه الشر الذي يصطرع في داخلها. فهوى ذراعاها ونظرت مندهشة، شاحبة الخدين الى الرجل الذي بدا كأنه ساحر جبار متمرس في فنون سرية، يردد رقى سوداً ويؤدي اشارات غامضة في الهواء. لو انه لوّح بسيف صقيل او فأس حادة امام وجهها، لما شحبت قط، ولكنها ارتعدت عندما قرأ شيئاً على رأسها وصدرها فجلست امامه مطرقة مثل طائر بري اضحى مدجناً وكلمها بلطف عن العمل الذي قامت به تجاهه في الليلة الماضية الصادر عن حب وحنان، عندما جاءته في هيئة

ضفدع بشع، وقطعت قيوده إرباً واخرجته الى حيث النور والحياة. وقال انهـا نفسهـا كانت مكبلة بقيود اقـوى من قيوده، ولكنها ستبلغ النور والحياة الخالدة بواسطته وسيحل العقدة التي تكبلها، ولكن عليها ان لاتجلس امـامـه على الحصان بعد هذا، حتى ولو كان ذلك بمحض ارادتها. فلم تواته الجرأة ان يحملها بهذا الشكل. وقال لها: عليك ان تجلسي خلفي، لا امامي، فلجمالك السحري قوة من الشيطان الذي اخشاه. ولكنني سأنتصر عليه باذن الله.

وابتهـل الى الله خاشعـاً، وشرعت الطيور تغرد والزهور ترسل عطرها الفواح في جميع الارجاء كأنه في جنة تجري من تحتها الانهار. ووقف الحصان الذي نقلهما هادئاً عنك احياناً بالشجيرات فتتساقط الثمار الجنية في يدي هيلكـا الصغـيرة، كأنها تدعوها ان تنعش نفسها. وسمحت صابرة ان يرفعها الشاب على ظهر الحصـان، فجلست كأنها في غشية، لاتتحـرك ولاتـرى. وركب امامها وسار في الغابة التي راحت ادغالها تتكاثف وتتكاثف وسدّت شجيرات الخوخ البري الطريف فتحتم عليهم ان يدوروا حولها. وغدت الينابيع الجارية بركاً راكدة اضطروا ان يدوروا حولهـا ايضاً. ومازالوا يجدون قوة وانعاشاً في نسيم الغابة الصافي وفي كلمات الحب والايمان التي يرددها الشاب في رغبة صادقة متحمسة كي يخرج بها هذه الفتاة المسكينة الضالة الى طريق النور والمحبة.

ويقال ان قطرات المطر يمكن ان تحفر فجوة في اصلب الصخور وان موج البحر يمكن ان يصقل الاحجار المثلمة، وهكذا فعل ندى الرحمة المتساقط على هيلكا الصغيرة، فلان كل ما كان فيها قاسياً وهدأ كل ما كان مضطرباً.

ولم يظهر تأثير ذلك، حتى انها لم تعرف ان شيئاً من ذلك حصل، كالبذرة المدفونة في الارض لاتعرف ان زخات المطر المنعشة ونور الشمس الدافئة ستجعلها تينع وتزدهر.

وكما تنزل ترنيمة الام على قلب الطفل بلا وعي فيروح يردد كلماتها دون ان يفهم معناها، ولكنها تتبلور في افكار تتضح بمرور الزمن. وهكذا حلت البركة في قلب هيلكا.

وخرجا من الغابة الى مرج ثم عادات الى غابة غير مطروقة وعند المساء واجهتهم عصابة من اللصوص. وصاحوا به: «من اين سرقت هذه الطفلة الجميلة؟» واوقفوا الحصان وانزلوا الراكبين، فقد كانوا زمرة كثيرة العدد.

ولم يكن الشاب يحمل سلاحاً سوى الخنجر الذي اخذه من هيلكا الصغيرة وصار يضرب به يميناً ويساراً. فرفع احد اللصوص فأسه ليضربه، ولكن الشاب استطاع ان يروغ عنه الى احد الجوانب والا لاصيب اصابة اكيدة، ولكن نصل الفأس طار فاصاب رقبة الحصان وتدفقت الدماء وهوى الحصان على الارض ميتاً. فاستفاقت هيلكا من غشيتها واندفعت بسرعة بالغة والقت نفسها على الحصان المحتضر فوقف الشاب امامها كالدرع الواقي. ولكن احد اللصوص طوح بهراوته الحديدية بقوة شجت راسه فتناثرت دماءه ودماغه وسقط على الارض ميتاً.

وقبض اللصوص على ذراعي هيلكا الصغيرة البيضاوين، غير ان الشمس كانت على وشك الغروب، وما ان اختفت آخر اشعتها حتى تحولت الى هيئة ضفدع، احتل نصف وجهها فم ابيض مخضوضر.

وصار ذراعاها نحيلين، لزجين، وانفتحت يداها عريضتين يمتد غشاء بين الاصابع فصارتا كالمروحتين فتركها اللصوص مذعورين تقف بينهم في هيئة حيوان بشع، وراحت تثب وثبات واسعة عالية كما يفعل الضفدع واختفت بين الادغال. وحسب اللصوص انها روح شريرة او عمل من اعمال السحر، ففروا مرتعبين.

وطلع البدر واشرق بكل بهائه، عندما تسللت هيلكا الصغيرة المسكينة من الادغال في هيئة ضفدع. ووقفت عند جثة الشاب والحصان القتيل. ونظرت اليهما بعينين كأنهما تبكيان. وندّت عن الضفدع عبرة كعبرة طفل ينشج باكياً بدموع غزيرة، والقت نفسها على الاول ثم على الثاني، ثم جلبت ماء بيدها ذات الغشاء التي جعلتها كالاناء ورشته عليهما ولكنهما ظلا ميتين، ولابد ان يظلا ميتين! وقد فهمت ذلك. ولن تلبث الحيوانات الضارية أن تأتي وتلتهمهما - ولكن لا، لن تدع ذلك يحدث. فشرعت تحفر في الارض جهد استطاعتها. وودت لو تحفر قبراً لهما.

ولم تكن تملك غير غصن شجرة ويديها اللتين تمزق الصفاق الذي بين اصابعها حتى سال الدم منهما. ومالبثت ان رأت ان العمل فوق طاقتها، فجلبت ماء عذباً وغسلت وجه الرجل الميت ونثرت عليه اوراقاً خضراً، غضة. ثم جاءت باغصان كبيرة لتغطية والقت اوراقاً يابسة بين الغصون. ثم انت باثقل الاحجار التي تستطيع نقلها ووضعتها فوق الجثمان. وملأت الفجوات بالطحالب. فايقنت ان الركام غدا قوياً ومصوناً، وقد استغرق منها هذا الجهد العسير الليلة باكملها. وكانت الشمس على وشك الشروق، فالفت هيلكا الصغيرة واقفة بكل حسنها، ويديها تنزفان دماً ودموع العذارى تخضل خديها الحمراوين لاول مرة.

بدا في هذا التحـول كأن طبيعتـين تصـطرعان في داخلها، فارتعشت ونظرت حولها كأنها استيقظت تواً من كابوس مزعج . فاتكأت على شجرة زان هيفاء، ثم تسلقت كالقطة الى اعلى الغصون وجلست بينها . وظلت جالسة طوال النهار مثل سنجاب مذعور في وَحشة الغابة حيث السكون المطبق والموت الرهيب، كما يقال .

ولكن طارت فراشتان تدور احداهما حول الاخرى، وكانت تلال فل قريبـة تروح وتغـدو اليهـا مئـات من المخلوقـات الصغـيرة الدؤوب . ويتراقص في الهواء عدد لايحصى من اسراب فوق اسراب من الذباب والـدعـاسيق، واليعـاسيب ذوات الاجنحة الذهبية ومخلوقات اخرى صغـيرة، مجنحـة . وكـانت ديدان الارض تزحف في الارض الرطبة وكذلك الخلد ـ وماعدا اولئك كان كل شيء يلفه سكون مطبق وموت رهيب . ولم يلحظ احد هيلكا الصغيرة سوى سرب من الزاغ صار يطير مثـرثراً حول الشجرة التي اختبأت فيها . وراحت الطيور تتواثب على الاغصان مقتربة من الفتاة وهي تتستطلع بجرأة ولكن نظرة واحدة من عينيها كانت كافية لطردها . ولم تستطع ان تفهم منها شيئاً، كما لم تستطع هي ان تفقه من نفسها شيئاً .

وعنـدما اقبل المساء ومالت الشمس الى الغروب، ايقظت فيها عملية التحول نشاطاً جديداً، فانسابت بلطف من الشجرة وعندما انطفأ آخر شعاع من اشعة الشمس، قبعت في مكانها ضفدعةً منكمشة ذات ايد ممزقة الاغشية . ولكن عينيها صارتا الان تشرقان بجمال جديد لم تألفاه في كل عنفوان حسنها هما ارق عينين لفتاة واكثرهما حناناً تشعان الآن في وجه ضفدع وتحملان شاهداً على وجود شعور عميق وقلب انساني،

وفاضت العينان الجميلتان بالدموع السخية التي تنير الفؤاد.
ورفعت هيلكا الصغيرة يديها تبتهل الى الله فسقط الغشاء عن اصابعها مثل قفاز ممزق. وغسلت يديها في النبع ونظرت مندهشة الى بياضهما الرقيق. وعادت تردد اسم الله بشفتين مرتعشتين، فسقط جلد الضفدع عنها. وعادت تلك الفتاة الحسناء ولكن رأسها ظل منحنياً واوصالها بحاجة الى راحة، فنامت، ولكن نومها كان مفيداً. فقد استيقظت في منتصف الليل وقد وقف امامها الحصان الميت وهو يثب على قائمتيه الخلفيتين مفعماً بالحياة التي تشع من عينيه ورقبته الجريحة. وظهر الى جانبه الشاب القتيل كأن النور يشع من عينية الواسعتين الوديعتين ونفذت نظرته الى اعماق قلبها فعرفت ان كلمات العطف والمحبة هي التي حفظتها ثم رفعها على الحصان واعطاها مبخرة ذهبية كتلك التي رأتها في بهو ملك قراصنة الفايكنك، تضوّع منها عطر فوّاح وانطلقا مسرعين عبر الغابات بين حفيف الريح وحفيف الاشجار وفوق التلال حيث يرفد محاربو الماضي القدماء جالسين على صهوات جيادهم الحربية الميتة. فنهض هؤلاء الفرسان وانطلقوا نحو قمم الروابي. تلتمع جباههم في اشعة القمر وترفرف ثيابهم في الريح. فرفع التنين العظيم حارس الكنز رأسه لينظر اليهم، واسترقت زمر كثيرة من الاقزام النظر من تحت روابيهم محتشدين بمصابيحهم الحمر والخضر والزرق، مثل شرارات تتطاير من ورقة مشتعلة وطارا فوق الغابات والمروج والبرك والانهار متجهين شمالاً نحو مستنقع الوحوش. ولما بلغا المكان صارا يحومان حوله بدوائر عظيمة. ورفع الشاب التقي يديه ورتل تمجيداً لله وشاركته هيلكا الصغيرة كما تشارك طفلة امها في الانشاد. ولوحت المبخرة التي تضوع

منها عطر فوّاح جعل البردي والقصب تتفتح ازهارها، وانبثقت زهور من اعماق الماء التي لايسبر غورها. ونهض كلماينبض بالحياة مزدهراً. وانتشرت زنابق الماء فوق وجه ماء البركة كأنها بساط نقش بالزهور، واستلقت على هذا البساط امرأة، فتية، فائقة الحسن. وحسبت هيلكا انها نفسها، صورتها منعكسة في صفحة البركة الهادئة. كانت امها تلك التي رأتها، زوجة ملك المستنقعات، اميرة بلاد النيل.

وامر الشاب التقي ان ترفع المرأة النائمة وتوضع على الحصان، ولكن الحصان تهاوى تحت وطأة هذا العبء، ولكن اشارة من الشاب التقي منحته القوة وحلق الثلاثة في الجو باتجاه اليابسة. وعند ذلك صاح الديك في قصر ملك قراصنة الفايكنك، وتلاشى الطيف في الضباب الذي جرفته الرياح، وبقيت الام والابنة واقفتين جنباً الى جنب.

وقالت الام: أأرى نفسي منعكسة على صفحة الماء العميق؟

وقالت الابنة: أأرى نفسي منعكسة على صفحة درع صقيل؟

ولما اقتربتا واحتضنت احداهما الاخرى، خفق قلب الام اسرع ففهمت.

وقالت: ياطفلتي! يازهرة قلبي! يازهرتي اللوتس التي خرجت من اعماق المياه!.

وبكت على ابنتها وسالت دموعها تضمخها بالحب والحياة. ثم اردفت قائلة: جئت الى هنا بثياب من ريش البجع وهنا خلعته، وغرقت في المستنقع الذي اطبق عليّ وسحبتني قوة من القوى اعمق فاعمق، وشعرت بيد الكرى تضغط على جفني. فاستغرقت في نومي وحلمت كأني رأيت الهرم المصري الاكبر. ولكن مايزال امامي جذع الشجرة

المقطوع الذي ارعبني على سطح المستنقع. فنظرت الى الشقوف في لحائه وكانت تشع بالوان براقة، تحولت الى حروف هيروغليفية. كنت انظر الى لفائف المومياء، فتمزقت الاغطية وخرج منها الملك المحنط قبل الف عام يمشي، اسـود كالزفت، اسود كحلزون الغابة اللماع، او كحمأة المستنقـع الآسنـة. ولم اعرف أكان الملك المحنط ام ملك المستنقعات فالقى ذراعيه حولي وشعـرت كأني أمـوت وعنـدمـا عدت الى الحياة احسست بشيء دافيء على صدري. كان طائراً صغيراً يرفرف بجناحية ويغرد. وطار من صدري عالياً نحو الظُلة الثقيلة القائمة، ولكنه ظل مربـوطـاً اليّ بخيط اخضر طويل. فسمعت الحـان لهفتـه وفهمتهـا: «الحـرية! الشمس!» فتـذكـرت ابي في ارض وطني المشمسـة وحياتي وحبي. فارخيت الخيط وجعلته يرفرف طائراً الى ابي في وطني. ولم احلم بشيء بعد تلك الساعة، فلابد انني استغرقتني رقدة طويلة وعميقة حتى هذه الساعة عندما ايقظتني موسيقى عذبة وعطور فوّاحة واطلقتني من اساري.

فاين راح الخيط الخفّـاق الاخضر الـذي ربط قلب الام الى جنـاحي الـطائـر؟ لم يره احـد سوى اللقلق. فقـد كان الخيط هو ساق النبتـة الاخضر، وكـان القـوس هو الـزهـرة المتألقة التي احتضنت الصغيرة كالمهـد، وشبت وغدت في ريعان الجمال وعادت الآن ترتاح الى صدر امها. ولما وقفتا صدراً الى صدر، كان اللقلق يحوم في دوائر عظيمة، ثم اتجه اخيراً الى عشه وعاد بثياب الريش التي حفظها طوال هذه المدة. ورمى لكل واحدة ثوباً ارتدته، وحلقت الام وابنتها في الجو مثل بجعتين بيضـاوين فقال اللقلق الاب: لنتحدث فنحن الآن يفهم احدنا لغة

الآخر، على الرغم من اختلاف شكل المناقير. فمن حسن الحظ ان تظهر هذا المساء لاننا راحلون غداً، انا والام والصغار، نحو الجنوب اجل. لك ان تنظريني فانا صديقٌ قديم من النيل، وكذلك زوجتي وليس قلبها قاسياً حاداً مثل منقارها! فقد كانت تقول دائماً ان الاميرة سوف تعنى بشؤون نفسها. وقد نقلت انا وصغاري ثياب البجع الى هنا. وما اعظم سروري وما اوفر حظي انني مازلت هنا! فما ان يطلُ الفجر، حتى ننطلق في جماعة كبيرة من اللقالق وسنطير في المقدمة، وخير لكما ان تتبعانا، فلن تضلا السبيل. وسنظل نراقبكما بعناية فائقة.

فقالت الاميرة المصرية: أما زهرة اللوتس التي جئت من اجلها فسوف اضعها في ثوب البجعة واطير بها. وسوف اصطحب زهرة قلبي معي، وهكذا قد حُل اللغز. والآن هيا الى الوطن! الى الوطن! ولكن هيلكا قالت انها لاتستطيع مغادرة ارض الدانمارك لم تر امها التي ربتها، زوجة ملك قراصنة الفايكنك، فقد خطرت في بال هيلكا كل الذكريات السعيدة، وكل الكلمات الرقيقة، وكل دمعة ذرفتها عليها امها المرضعة، وبهذا تجلى عميق حبها لهذه الام.

فقال اللقلق الاب: اجل، لابد ان نذهب الى قصر الفايكنك، وسوف يكون صغاري وامهم بانتظارنا سيفتحون عيونهم ويخفقون باجنحتهم ولكن امهم لن تتحدث كثيراً. فهي فظة، جافة نوعا ما ولكنها تضمر مشاعر الود دائماً. اما الآن فسوف أقلق ليعلموا اننا قادمون:

فلقلق بمنقاره وحلّق هو والبجعتان الى قصر ملك قراصنة الفايكنك كان جميع من في القصر مستغرقين في نومهم. فقد تأخرت زوجة ملك القرْاصنة في نومها لانها كانت قلقة بشأن هيلكا الصغيرة، التي لم يرها

احد ثلاثة ايام متوالية. فقد اختفت مع الشاب النقي ولعلها ساعدته في الهرب. وقد افتقدوا حصانها في الاصطبل فاية معجزة اجترحت ذلك؟ وتجسدت لها افكارها في احلامها، وخيل اليها انها ماتزال مستيقظة وهي جالسة في فراشها تفكر والظلام قد اسدل ستوره على الدنيا. وهبت عاصفة وسمعت هدير الامواج الى شرقها وغربها من بحر الشمال. وان الافعى الرهيبة الهائلة، التي تعتقد انها تطوق الارض في اعماق المحيط، طفقت تختلج ارتعاشاً في خشيتها من راكناروك، ليل الالهة. انه يمثل يوم القيامة حيث يزول كل شيء حتى الالهة العظام. ونفخ في بوق الحرب وركب الالهة على قوس قزح مدججين بالسلاح والدروع لخوض آخر معركة تسبقهم مرشدات الابطال. واشرق الجو بانوار الشمال، غير ان الظلام انتصر آخر الامر.

كانت ساعة رهيبة، وقد جلست هيلكا الصغيرة في حلمها الى جانب المرأة الخائفة القابعة على الارض في شكل ضفدع بشع. ارتعشت وزحفت قريباً الى امها المرضعة التي وضعتها في حضنها وضمتها بقوة الى صدرها من شدة حبها بالرغم من بشاعتها ونادت باعلى صوتها: رباه! ولما نطقت باسمه، طبعت قبلة على جبين الضفدع، فوقع الجلد الكريه، ووقفت امامها هيلكا الصغيرة في ابهى جمالها، مهذبة، كما لم تكن سابقاً، مشرقة العينين، فقبلت يدي امها التي ربتها ومجدت حبها ورعايتها لها في ايام محنتها وشقائها واثنت على الافكار التي غرستها فيها وعلى الاسم الذي اطلقته عليها. وحمدت الله وارتفعت مثل بجعة بيضاء ناشرة جناحيها وانضمت الى سرب طيور مهاجرة يسمع لاجنحتها حفيف.

فانتبهت زوجة الفايكنك صوت الاجنحة في الخارج، فادركت انه موسم هجرة اللقالق. وارادت ان تلقي عليها جميعاً نظرة وتودعها، فنهضت وخرجت الى الشرفة ورأت لقلقاً فوق لقلق على السطوح واسراباً تطير في شكل حلقات عظيمة وتدور وعلى حافة البئر التي امامها حيث كثيراً ما ارعبتها هيلكا، جلست بجعتان بيضاوان ترمقانها بعيون تشع بالحكمة. فتذكرت حلمها الذي مايزال يبدو لها كحقيقة واقعة. وفكرت بهيلكا الصغيرة في شكل بجعة، وغمرت قلبها بهجة عظيمة. وخفقت البجعتان باجنحتهما واحنتا عنقيهما كأنهما تزجيان التحية لها، فمدت زوجة ملك القراصنة ذراعيها. نحوهما كأنها فهمت كل شيء وابتسمت لهما والدموع تترقرق في عينيها وقالت اللقلقة الام: لن ننتظر البجعتين، فاذا ارادتا ان تهاجرا معنا فعليهما ان تأتيا حالاً. نحن لانستطيع ان نتوانى حتى مجيء الزقزاق - رسول الغيث. طريقة هجرتنا ممتازة، فالعائلة كلها ترحل معاً، وليس كالعصفور الظالم والحجوالة التي تطير ذكورها منفصلة عن اناثها. فليس هذا من اللياقة بشيء. ثم لماذا تخفق البجعتان جناحيهما بهذا الشكل؟

فقال اللقلق الاب؛ كل يطير بطريقته الخاصة. فالبجع يطير بخط مائل والكراكي في شكل مثلث، والزقازيق بخط منحنٍ كالافعى فقالت الام: لاتتحدث عن الافاعي ونحن طائرون، فان ذلك يبعث الشهية في نفوس الصغار التي يمكن اشباعها.

وسألت هيلكا وهي في ثوب ريش البجع: هل هذه هي الجبال الشاهقة التي اعتدت ان اسمع عنها؟

فاجابت امها: هذه غيوم رعدية تسوقها الرياح تحتنا وعادت تستعلم:

وما تلك الغيوم البيض العالية جداً؟ فقالت الام: تلك جبال تغطيها ثلوج دائمـة كما ترينها هناك. وكانتا تحلقان فوق جبال الالب؛ تجاه البحر المتوسط الازرق.

وهتفت ابنة النيل فرحاً «ارض افريقيا! نهر مصر!» عندما وقعت عينها، وهي طائـرة في ثوب ريش البجـع عالياً، على الخط الاصفـر الضيق المتموج، حيث موطن ولادتها. ورأته الطيور الاخرى ايضاً واسرعت في طيرانها.

فقالت اللقلقة الام: اني اشم ماء النيل والضفادع! واشعر بوخز خفيف في جميع انحاء جسمي ستذوقون شيئاً سائغاً وترون شيئاً رائعاً ايضاً.

وهناك الكراكي وابو منجل والناسك وكلها تنتمي الى عائلتنا، ولكنها لاتضـاهينـا في الوسامة، فهي مغرورة متشامخة وخصوصاً ابو منجل الذي افسده المصريون بتدليلهم. فهم يصنعون منه مومياء ويحنطونه ويحشـونه بالافاويه اما انا فافضل ان احشى بالضفادع الحية، وانتم ايضا، وهذا ما سيكون فعلاً! والافضل لكم ان تملأوا حواصلكم بشيء وانتم احياء من ان تثار حولكم ضجة وانتم اموات. هذا رأيي وانا دائماً على صواب.

ـ عادت اللقالق.

قال الناس في القصر العظيم الذي على النيل حيث رقد سيد البيت في البهو الاكبر على فراشه الوثير المغطى بجلد النمر. لم يكن الرجل حياً ولا ميتاً ايضاً. وهو ينتظر ويأمل في الحصول على زهرة اللوتس من بطائح الشمال العميقة.

وقد حف الخدم والحشم بسريره عندما هبطت بجعتان كبيرتان بيضاوان

في البهـو، وخلعتا ثياب الريش الناصعة، فتبدت للناظرين حسناوان متشابهتان مثل قطرتي ندى. وانحنتا على الشيخ الشاحب، الناحل، والقتا شعرهما الى الوراء.

وما ان انحنت هيلكا الصغيرة على جدها حتى عادت الحمرة الى خديه ودبت الحياة في اوصاله فنهض الشيخ قوياً، معافى وطوقته ابنته وحفيدته باذرعهما، كما في تحية صباح بهيجة بعد ليلة طويلة مضطربة.

وعمّت البهجـة القصر الكبـير وعش اللقـالق ايضاً، غير ان السرور الاعظم كان بشأن وفرة الطعام وخصوصاً كثرة الضفادع. وعندما دوّن الحكـماء على عجـل قصـة الاميرتين وزهرة الشفاء التي جلبت البركة والحبور الى البلاد، روى اللقلقان القصة نفسها الى عائلتهم بطريقتهم الخاصة ـ ولكن بعد ان شبع الجميع، وإلا لكان فكرهم مشغولا بغير الاستماع الى القصص.

وهمست اللقلقة الام: لاريب انهم سيجعلون منك شخصاً آخر والا ليس من المعقول ان يفعلوا غير ذلك.

فقال اللقلق الاب: وماذا ساكون؟ وماذا فعلت؟ لاشيء!

فردت عليه قائلة: فعلت اكثر مما يفعل الآخرون، فلولاك ولولا صغارنا لما رأت الامـيرتـان مصر، ولمـا استعـاد الشيخ عافيتـه ستصبـح شيئاً سيمنحونك درجة عالم في الاقل، وسيرث صغارنا اللقب، وصغارهم من بعدهم. وانك فعلاً تبدو مثل عالم مصري، بنظري في اقل تقدير!

وشرع العلماء والحكماء في تقديم ارائهم بخصوص العنصر الروحي، كما اطلقوا عليه، الراسخ في اصل المسألة: فقالوا: «الحب غذاء الروح» ثم خسروا ذلك: «كانت الاميرة شعاع الشمس الدافيء، فنزلت الى ملك

الاهوار ومن لقائهما خرجت الزهرة».
فقال اللقلق الاب: «ليس بوسعي ان اعيد تلك الكلمات». فقد كان على السطح يستمع ويريد الآن ان يروي ذلك الى من في العش. فاروق قائلاً: كان كلامهم معقداً وبارعاً جداً فنالوا بذلك رتباً وهدايا وحتى كبير الطباخين نال امتيازاً خاصاً، لبراعته في طبخ الحساء.
وسألته اللقلقة الام: وانت، ماذا نلت؟ عليهم الا ينسوا اهم شخصية، تتمثل فيك. ولم يفعل الحكماء سوى الثرثرة في مايخص هذه المسألة. ولكن دورك سوف يأتي بلا ريب.

وعندما خلدت العائلة السعيدة الى النوم الهادىء في اواخر الليل، بقي احدهم ساهراً يراقب. ولكنه لم يكن اللقلق الاب الذي وقف في عشه على ساق واحدة كالحارس النائم في موضعه. كلا، بل كانت هيلكا الصغيرة، ساهرة في الشرفة حيث الهواء الرائق، تتأمل النجوم الزاهرة، التي كانت اكبر في تألقها مما تُرى الشمال، مع انها لم تتغير وتخيلت عيني امها التي ربتها، تلكما العينين الرقيقتين والدموع التي ذرفتها على الطفلة الضفـدعة المسكينة، وهاهي الآن تقف في ضوء النجوم المتألق وهواء الربيع العذب قريباً من ماء النيل وفكرت في الحب الذي يعمر صدر الـوثنية، الحب الـذي جادت به على تلك المخلوقـة البائسة، الحيوان الضاري في هيئة انسان، البغيضة المنظر اذا كانت في صورة حيوان. نظرت الى النجـوم المشرقة وتذكرت الشاب التقي وتراتيله عن اسمى الحب الذي يحتضن البشرية جمعاء. وبقيت هيلكا الصغيرة منشغلة، ليل نهار، في التفكير بسعادتها، وكادت تضيع نفسها في تأمل ذلك مثل طفل ينشغل بالهدية الجميلة عن مُهديها كانت سعيدة حقاً، ويبدو ان

سعـادتهـا كانت تزداد باضـطراد وانتبهت ذات يوم من حلمهـا عندما سمعت ضجة عظيمة في الباحة التي تحتها، ولما نظرت رأت نعامتين كبـيرتـين تجريان بسرعة في دوائر. لم تر من قبل هذا الطائر العظيم، الثقيل، الاخرق الذي يبدو كأن جناحيه قد قصا. وسألت ماذا جرى لهذا الطائر، فسمعت لاول مرة الاسطورة التي يرويها المصريون عن النعامة.

قالـوا ان النعـامـة كانت يومـاً طائـراً جميلاً جليلاً له جناحان قويان واسعـان. وقد قالت له طيور الغابة العظيمة ذات يوم: يا اخانا، الا نذهب غدا، ان شاء الله، الى النهـر لنشرب المـاء؟ فقالت النعامة: اجل، ساذهب.

وعنـد الفجر طارت الطيور عالياً نحو الشمس، ولكن النعامة حلّقت اعلى فاعلى امام الجميع وقد وضعت ثقتها في قوتها وليس في من وهبها ذلك ولم تقل «ان شاء الله»، ولكن ملك الانتقام رفع الحجاب عن حرارة الشمس اللاهبة فاحترق في الحال جناحا الطائر المتغطرس وسقط على الارض بائساً. ولم يكن بوسع النعامة وجنسها منذ ذلك التاريخ ان ترتفع في الجو بل تجري مرعوبة على الارض او تدور في حلقات ضيقة. وفي ذلك تحذير لبني البشر تذكرنا ان نقول في كل فكرة وفي كل عمل: «ان شاء الله».

فنظرت هيلكا جادة، متأملة الطير هذا ولحظت خوفه وكبرياءه البائس لدى رؤيتها خيالها العظيم المنعكس في ضوء القمر على الجدار الابيض. فصارت افكارها اكثر رصانة وجداً. فقد منحت حياةً حافلة بالبهجة. فما المزيد الذي سيأتي به المستقبل؟ عسى ان يكون خيراً ـ ان شاء الله!.

وفي اوائل الربيع عندما ازمعت اللقالق على الهجرة الى الشمال، خلعت هيلكا سوارها الذهب وحفرت اسمها عليه واشارت الى اللقلق الاب ووضعته حول رقبته، وطلبت اليه ان يأخذه الى زوجة ملك الفايكنك؛ التي ستعرف لدى رؤيته ان ابنتها التي ربتها ماتزال على قيد الحياة، وهي سعيدة ولم تنسها.

وفكر اللقلق عندما وضع السوار في رقبته انه شيء ثقيل يصعب حمله، ولكن الذهب والشرف لايرميان على قارعة الطريق، وان الناس هناك يقولون ان اللقالق تجلب الحظ الرائع معها.

فقالت الام: انت تضع الذهب وانا اضع البيض. ولكنك تضعه مرة واحدة اما انا فكل سنة. ولايقدّر احد ذلك وانا ادعو هذا اجحافاً!

فقال الاب: ايتها الام، لايعرف قدر المرء الا نفسه.

ثم انطلقا في طريق الهجرة.

وكان البلبل الصغير المغرد في اشجار النخيل في طريقه الى الشمال ايضاً. وكثيراً ما سمعته هيلكا يغرد في الشمال، فازمعت ان تبعث معه رسالة ايضاً، فقد كانت تعرف لغة الطير من لبسها ثياب ريش البجع، وحافظت عليها بكلامها مع اللقالق وطيور السنونو. وفهمها البلبل جيداً فطلبت اليه ان يطير الى غابة اشجار الزان في يوتلند، وان يبلغ جميع الطيور الصغيرة تحياتها. فطار البلبل وطار الزمن ايضاً.

وفي الخريف رأى نسر جاثم على احد الاهرام قطاراً طويلاً من الجمال المحملة، وفرساناً مدججين بالسلاح على جياد عربية مطهمة، بيض كأنها الفضة، ذات مناخير حمر ترتعش، واعراف تنسدل حتى تبلغ الارض. وقد وصل امير من الجزيرة العربية، وسيم كما ينبغي الامير ان

يكون، الى القصر الملكي الذي كان عليه عش اللقالق خالياً الآن، لان اهله مازالوا في الشمال، ولكنهم لن يلبثوا ان يعودوا سريعاً، وقد وصلوا فعلاً في ذلك اليوم عندما كانت الافراح في اوجها فقد اقيمت احتفالات عرس. وكانت العروس هي هيلكا، رافلة بانفس الحرير واكرم الجواهر وكان العريس اميراً عربياً شاباً. وجلس الاثنان في صدْر المائدة بين امها وجدها. ولكن هيلكا لم تكن تنظر في وجه العريس الوسيم الذي تحيط به لحية سوداء جميلة، ولم تنظر في عينيه السوداوين المشرقتين اللتين تحدقان فيها، بل كانت تنظر الى نجم متلالىء في السماء.

وفي تلك الاثناء سمع حفيف اجنحة عظيمة في الجو. فقد عادت اللقالق، وكان اللقلقان متعبين بحاجة الى راحة، فحطا على حظار (محجر) الشرفة. ولم يكونا يعرفان شيئاً عن الاحتفال وقد سمعا عند الحدود ان هيلكا قد امرت برسمهما على الجدار لانهما جزء من قصة حياتها.

فقال اللقلق الاب: احسنت بذلك صنعاً.

فقالت الام: هذا اقل مايمكن ولو استطاعت لفعلت. وعندما رأتهما هيلكا، نهضت من المائدة وخرجت الى الشرفة لتمسد اجنحتهما، فحنى اللقلقان الكبيران رأسيها ونظرت اللقالق الصغيرة وشعرت بالفخر. فنظرت هيلكا الى النجم المشرق الذي بدا بريقه يزداد ألقاً وصفاء. وعامت بينها وبين النجم صورة اصفى من الهواء ولهذا رأتها. وصلت اليها ورأت انه الشاب التقي فقد جاء الى حفلتها العظمى - اتى من ملكوت السماء.

وقال: المجد والهناء هناك يفوقان كل ما على الارض من بهارج وصلّت

خاشعة رقيقة الفؤاد كما لم تصل من قبل لعلها ترى ملكوت السماء لحظة واحدة. فشعرت بنفسها ترتفع فوق الارض في تيار من الالحان والافكار العذبة. ولم تكن الموسيقى السماوية تحيط بها حسب، بل كانت في دخيلتها ايضاً. ولاتستطيع اية كلمات ان تفصح عن ذلك فقال الشاب التقي الشهيد: لابد ان نعود الآن والا لكنت ضائعة. فتوسلت اليه: نظرة واحدة اخرى فقط، لحظة واحدة قصيرة اخرى.

ـ لابد ان نعود الى الارض. فقد شرع الضيوف ينصرفون.

ـ نظرة واحدة فقط ـ نظرة اخيرة!

وعادت هيلكا تقف مرة اخرى على الشرفة، بيد ان جميع المشاعل في الخارج خبت وجميع المصابيح في الداخل اطفئت ورحلت اللقالق. ولااثر للضيوف ولا للعريس. كل شيء زال في تلك الدقائق الثلاث. واستولى رعب عظيم على هيلكا. ومشت في البهو الكبير الى الحجرة الاخرى حيث يرقد محاربون غرباء. وفتحت باباً جانبياً يؤدي الى حجرتها الخاصة، غير انها الفت نفسها في حديقة لم ترها هناك من قبل. وكان في السماء وهج احمر، لان الفجر قادم. ثلاث دقائق في السماء ولكن ليلة كاملة انقضت على الارض.

ثم رأت اللقالق ونادتها بلغتها الخاصة، فادار اللقلق الاب رأسه وانصت ثم اتى اليها: وقال: انت تتكلمين لغتنا ماذا تريدين؟ لماذا اتيت الى هنا ايتها المرأة الغريبة؟

فأجابت قائلة: هذه انا! هذه هيلكا! ألا تعرفني؟ كنا نتحادث في الشرفة قبل ثلاث دقائق.

فقال اللقلق: هذا خطأ. لابد انك كنت تحلمين.

فقالت: «كلا، كلا» ثم ذكرته بحصن قرصان الفايكنك ومستنقع الوحوش، وهجرتهم معاً.

وطرف اللقلق الاب بعينيه وقال: ولكن هذه قصة قديمة واعتقد انها حدثت في ايام جدة جدتي اجل، فقد كانت هناك اميرة في مصر جاءت من بلاد الدانيمارك، ولكنها اختفت في ليلة عرسها قبل مئات السنين. ويمكنك ان تقرئي عنها هاهنا، على النصب في الحديقة. فقد حفر عليه صور لقالق وبجع، وانت نفسك في الاعلى، كل ذلك في رخام ابيض. وهكذا فهمت هيلكا عن ذلك كله وجثت على ركبتيها.

وبزغت الشمس، وسقط، كما في السنين الخوالي، جلد الضفدع امام اشعتها وكشفت عن الفتاة الجميلة التي فاق حسنها النسيم في رقته وصفائه. وتهاوى البدن في التراب ولم يبق في مكانها إلا زهرة لوتس ذاوية.

وقال اللقلق الاب: هذه نهاية جديدة للحكاية. ولم اكن اتوقع ذلك، غير انني احبها كثيراً.

فسألت اللقلقة الام: وماذا يقول الصغار عنها؟

فاجاب الاب: آه، هذه مسألة مهمة جداً.

وزارة الثقافة والاعلام

دار ثقافة الاطفال

سلسلة مكتبتنا

فريق التوثيق الألكتروني

السعر ١٫٢٥٠ فلس

دار الحرية للطباعة